ماذا تعرف عن بديع الزمان

سعيد النورسي

إعداد

أ. علي القاضي

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

ماذا تعرف عن بديع الزمان

سعيد النورسي

مدير جامعة يوسف بتركيا

بقلم

علي القاضي



الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

بين يدي الكتاب

الصـــراع بين الحق والباطل سنة إلهية ممتدة في التاريخ البشري كله، لكن الباطل وهو مخادع منافق يزعم العقلانية مع أنه دائما يلجؤ إلى أحط الوسائل وأبشعها في مقاومة الحق.

وهـــذا الكـــتاب الذي أَلّفه الأستاذ المُرَبي (علي القاضي) إطلالة سريعة على بعض صور هذا الصراع وهو يفضح أهل الباطل الذين توافرت لديهم الأدلة على براءة يوسف علـــيه السلام، لكنهم/مع ذلك/ هددوه بالسجن إذا لم يمارس الرذيلة معهم، هكذا قالت زليخا **﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾** (يوسف:٣٢) ، معتمدة عـــلى بطـــش الحكم وقوة السلطنة، لكن يوسف ردَّ معتمداً على الله وقوة الإيمان وإيثار الآخرة على الدنيا **﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾** (يوسف:٣٣) ، فهذا هو منهج الحوار بين أهل الحق وأهل الباطل، ومازال هذا المنهج مسيطراً حتى اليوم، ومع ذلك يقول أهل الباطل عن أهل الحق إنهم المتطرفون (والمتعصبون) و(الإرهابيون) .

وبعد صورة يوسف تتوالى الصور عبر التاريخ

لكــــن عصرنا الحديث وفي بلاد المسلمين بخاصة يزدحم بصور القهر والعنف وأبشع صور التعذيب، لدرجة أن بعضهم يتصور هذه البلاد وكأنها محكومة بالأسلوب الشيوعي الإلحادي حتى اليوم.

وكان أتاتورك في تركيا رمزاً لهذا البطش الإرهابي باسم الحرية والديمقراطية.

والشـــيخ بديع الزمان النورسي يمثل صورة حية لقوة الإيمان، فقد قام بالدفاع عن الإســـلام ضـــد بطش كمال أتاتورك ومعاونيه، وقد هددوه بكل أنواع التهديد وقدموه لـــلمحاكمة مـــرات عديدة وحكموا عليه بالإعدام ولكنه لم يهن ولم يحزن، بل إنه صبر وجاهد وتحدى ورفض كل أنواع الترغيب والترهيب.

وفي داخـــل السجون أخذ يعلم تلاميذه ويقول لهم: إن الوقت الآن هو وقت إنقاذ الإيمـــان، **وفي داخـــل السجون** أخذ يملي رسائل النور على بعض تلاميذه ثم يصححها بنفسه، ولم يكن هناك وسيلة إلا الكتابة باليد لأن المطابع أغلقت أمام الرسائل.

وقد أسهمت النساء في كتابة رسائل النور ونشرها عن طريق الاستنساخ لمن تعرف الكتابة، ومن لا تعرف الكتابة كانت تقلد الكتابة تقليداً أو تقوم بالأعمال اليومية لأزواج من يكتبن كي تتفرغن لكتابة رسائل النور، وقد بلغ ما كتب منها باليد ستين ألف نسخة.

وفي داخل السجن اهتدى على يديه كثير من المجرمين والقتلة، وفي السجن أيضاً استمر في تأليف رسائل النور.

وبدأت الرسائل تأخذ طريقها في النشر، وكان الشيخ فرحاً بذلك وقال (هذا عيد رسائل النور، لقد كنت أنتظر مثل هذا اليوم، لقد أنهيت مهمتي إذن، وسوف أرحل قريباً) .

وقد أنتجت جامعة يوسف بتركيا مجموعة من الشباب استطاعوا أن يبقوا على الإسلام في تركيا، وأن ينشروه بين الأجيال المقبلة، وأن ينتصروا على العلمانية شيئا فشيئاً، حتى وجدنا أشياء كثيرة يسمح لها بالوجود كالمساجد ومراكز تحفيظ القرآن والآذان باللغة العربية.

ليت هذا الأسلوب الوحشي ينتهي من عالم البشر، وليت بلادنا الإسلامية تعود إلى دينها.

ويا أيها الطغاة تذكروا قدرة الله تعالى، واعلموا أنكم رعاة الأمة وحماتها ...لا مروعوها وجزاروها، وسوف تُسألون، فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره.

د/ عبد الحليم عويس

حياة بديع الزمان الأولى:

وُلِـدَ بديـع الزمان النورسي رحمه الله تعالى في عهد السلطان عبد الحميد الثاني في أواخـر عمـر الدولـة العثمانية، وقد عاصر تكالب الأعداء وتزاحمهم للقضاء على هذه الدولـة، وقـد استطاعت الدوائر الأجنبية أن تُحيك المؤامرات بدقة مستخدمة ركائز في قلـب الدولـة استخدمتهم في اللحظة المناسبة لهز شجرة الدولة من جذورها والإجهاز علـيها، ولم تسـتطع السلطات التركية منع الانقلاب الذي خططت له القوى الخارجية واستخدمت زمرة من جمعية الاتحاد والترقي لتنفيذه.

وُلِدَ سعيد النورسي في عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٣م بقرية نورس التابعة لولاية (بلتيس) شرق الأناضول.

البيئة التي تربى بها:

كـان والـده الصوفي (ميرزا) وَرِعاً يضرب به المثل، لم يذق حراماً قط، ولم يطعم أولاده من غير الحلال، حتى إنه كان إذا عاد بمواشيه من المرعى شد أفواهها حتى لا تأكل مـن مزارع الآخرين، وتقول أمه (نورية) إنها كانت دائما ترضع أبناءها وهي على طهر ووضوء.

وقـد ظهرت مخايـل النبوغ والذكاء على (سعيد الصغير) منذ طفولته، حيث كان دائـم السؤال والاستطلاع لكل ما استغلق عليه فهمه، فكان يحضر مجالس الكبار ويصغي إلى مـا يـدور بيـنهم من مناقشات في مسائل شتى، ولا سيما علماء قريته الذين كانوا يجتمعون في منـزل والده في ليالي الشتاء الطويلة.

ومـنذ طفولـته وهو لا يريد إلا إرضاء الله تعالى للفوز برضوانه، ويقول (لا أريد العدم بل البقاء) وكان أنوفاً عزيز الجانب لا يقبل الضيم وينفر من الظلم من صغره، وقد تأصـلت هـذه الأخلاق فيه وقويت عنده عندما بلغ مبلغ الرجال وانعكست على كل تصرفاته مع من قابلهم من مسئولين وحكام وعلماء.

وقـد اجتمع عليه مرة بعض العلماء وأجمعوا على امتحانه، فسألوه عما بدا لهم من عويص المسائل فأجاب بإجابات تصل إلى أعماق القلوب فاعترفوا جميعا بفضله ومهارته،

إلا أن بعضـــهم ناصـــبه العداء ولكنه أبى أن تقع بسببه فتنه فأطفأ نار الشحناء والمشاجرة فذهب إلى (نيليس) وكان عمره آنئذ خمسة عشر عاماً، فصار مثلا في الشجاعة وظهرت سمات فضله في الأخلاق والعلوم في أنحاء الولاية حتى لقب (بالملا سعيد المشهور) .

خطواته الأولى نحو العلم:

تلقى علومه الأولى في كُتّاب قرية (طاغ) عام ١٣٠٠هـــ/١٨٨٢م وكان يرفض أن يـــأخذ زكاةً أو صدقة، ثم ذهب إلى مدرسة في قضاء (بايزيد) التابعة لولاية (أغرى) وهنا بـــدأت الدراســـة الدينـــية في حياة سعيد، إذ أنه لم يكن قد درس حتى الآن غير النحو والصرف، وبدأ في قراءة جميع الكتب التي كانت تدرس في المدارس الدينية، وكان يقرأ في الـــيوم الواحد من متون أصعب الكتب مائتي صفحة ويفهمها دون الرجوع إلى الهوامش والحواشي، وكان يقرأ على ضوء الشموع، ثم أخذ إجازته العلمية.

سعيـــد المشهـــور:

ثم انـــتقل إلى كثير من البلاد في طلب العلم حتى وصل إلى مدرسة العالم المعروف في ذلـــك الوقـــت (فـــتح الله أفندي) الذي امتحنه في الكتب التي قرأها وقال له بعد ذلك (حســـنا إن ذكـــاءك خارق، وإن اجتماع الذكاء الخارق مع القوة الخارقة للحفظ شيء نادر جداً) .

وكتـــب لـــه عـــلى غلاف كتاب جمع الجوامع في أصول الفقه لابن السبكي (لقد حفـــظ /جمع الجوامع/ جميعه في جمعة) ، ولم يلبث هذا الخارق إلا فترة قصيرة حتى أقبل عليه علماء المدينة يحاورونه حتى أفحمهم فأطلقوا عليه (**سعيد المشهور**) .

ثم ذهـــب إلى مديـــنة (تللو) حيث اعتكف مدة في أحد أماكن العبادة، وحفظ من القـــاموس المحيط للفيروزابادي حتى باب السين، وفي عام ١٣١٠هـــ/١٨٩٢م ذهب الملا سعيد إلى (بادين) حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة، وقد أحس والي المدينة بأن هذا الشـــاب خطر عليه، لذلك قرر نفيه من المدينة، فسيق بصحبة الشرطة ويداه مغلولتان إلى مديـــنة (نيلـــيس) ، وبعـــد فترة قصيرة من وصوله عرف والي (نيليس) فضل هذا العالم الشـــاب، فأحـــبَّه وأصر على أن يقيم معه في منـــزله، وبعد إلحاح كثير وافق على ذلك

واستقر في غرفة خاصة به، وكانت فرصة لمطالعة الملا سعيد لكثير من الكتب العلمية وحفظها، كما طالع كثيراً من كتب علم الكلام والمنطق والنحو والتفسير والحديث والفقه فحفظ أكثر من ثمانية كتب من أمهات كتب العلوم الإسلامية.

وفي عام ١٣١٢هـ/١٨٩٤م ذهب إلى (وان) بدعوة من واليها والتقى ببعض أساتذة العلوم الحديثة من جغرافيا وكيمياء وغيرها، وشعر بقصوره في هذه العلوم فأقبل على تعلمها بشغف عظيم حتى أتقنها وأصبح قادراً على التأليف فيها ومناقشة المختصين، وفي مدة قصيرة جداً استطاع أن يتقن الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ وغير ذلك، وذاعت شهرته حتى أطلق عليه (**بديع الزمان**) .

وكان دائماً يكرر ما حفظه وقد بلغ ما حفظه سبعين كتاباً وكانت هذه الكتب واسطة للوصول إلى حقائق القرآن الكريم.

خبر مدهش:

في هذه الفترة قرأ في الصحف المحلية خبرا مدهشاً هز كيانه كله هزاً عنيفاً، وهو أن وزير المستعمرات البريطاني (غلادستون) قال في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن (ما دام هذا القرآن بين أيدي المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به) .

لذلك صمم على أن يكرس كل حياته لإظهار إعجاز القرآن، وربط المسلمين بكتاب الله وقال (لأبرهنن للعالم أن هذا القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها) .

وقضى حياته كلها يريد أن يثبت من خلال رسائل النور أستاذية القرآن في الكون كله، كي ينتهي إلى أن تلاميذ القرآن الكريم هم أساتذة الدنيا في التمسك بالعقيدة الصحيحة، والشريعة الحكيمة والروحية العالية، والأخلاق السامية، والسلوك الرباني المستقيم، وذلك لتعود للمسلم ثقته بنفسه واعتزازه بأستاذيته، وبذلك لا يستعبد لمبادئ الكفر وأخلاق الكافرين حتى يعيد دوره الحضاري الكامل في هذه الدنيا فينقذ البشرية بقوة مبادئه الربانية من الإلحاد والانحراف والانحلال.

ـذلـــك قرر إنشاء جامعة إسلامية في شرق الأناضول باسم (مدرسة الزهراء) لخدمة القــرآن، ولتحقــيق فكـــرته هذه، ذهب إلى استانبول وبقى سنة ونصف يحاول إقناع المســؤولين بفكــرته، ولكنه لم يوفق في مسعاه فرجع إلى (وان) ، وفي عام ١٣٢٥هـــ/ ١٩٠٧م رجـــع إلى استانبول وسكن في خان الشكرجي في منطقة فاتح (نسبة إلى القائد المسلم (محمد الفاتح) فاتح القسطنطينية) حيث يسكن الكثيرون من المفكرين والأدباء.

وفي أثناء إقامته في استانبول علق لوحة على باب غرفته كتب فيها:

(هنا يجاب عن كل سؤال وتحل كل مشكلة دون أن يسأل هو أحدا من الناس)

وذهب إليه شاب من المثقفين في مدرسته ووجه إليه أسئلة معقدة في الإلهيات التي لا يمكـــن الإجابة عليها إلا بمجلدات من الكتب، يقول الشاب(**لقد كانت أجوبته عجيبة ومدهشة فأصبحت موقنا بأن علمه ليس كسبياً /كعلمنا/ بل هو علم لدني)** .

وقـــال عالم آخر لطلابه بعد أن التقى به (**لم أشاهد مثله أبدا، إنه من نوادر الخلق لم يجئ الزمان بمثله قط)** .

مطالبته بفتح مدارس للعلوم:

قــدَّم ســـعيد النورسي عريضة إلى السلطان عبد الحميد يطلب فيها فتح المدارس التي تُعَلِّم العلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء وغيرها بجانب المدارس الدينية في شرق الأناضول حيـــث يُخَـــيِّم الجهل والفقر على سكانه، ثم قابل السلطان نفسه وانتقد الاستبداد ونظام الأمن والاستخبارات مما أثار نقمة حاشية السلطان التي لا تمثل فكر السلطان، فأحالوه إلى محاكمة عسكرية ... وفي المحكمة تكلم بجرأة كبيرة، مما حدا برئيس المحكمة إلى إحالته إلى الأطباء لفحص قواه العقلية، وقد أصدرت لجنة الأطباء التي كانت مؤلفة من طبيب تركي وطبيـــب أرمنيّ وطبيب رومي وطبيبين يهوديين قرارا بوضعه في مستشفى (طوب طاش) للمجاذيب.

وفي المحكمة حضر أحد الأطباء لفحص قواه العقلية وبعد محاورة كتب تقريراً جاء فيه:

(لـــو كان هناك ذرة واحدة من الجنون عند بديع الزمان، فإن معنى ذلك أنه لا يوجد على وجه الأرض كلها عاقل واحد) .

وعـــلى إثر ذلك أرسل بديع الزمان إلى وزير الداخلية الذي عرض عليه مرتب ألف قـــرش مع هدية سلطانية ولكنه رفض قائلاً (إني لم آت لغرض شخصي إنما لمصلحة البلد فما تعرضونه عليّ ليس سوى رشوة للسكوت، إنني أريد أن أوقظ هذه الأمة) .

ثم ذهب إلى (سلانيك) وتعرف على كبار شخصيات جمعية (الاتحاد الترقي) وعندما شعر من بعضهم بعدم الاستقامة وبعدائهم للدين قال لهم(لقد اعتديتم على الدين وأدرتم ظهوركـــم للشريعة) ، فطلب اليهود (عما نوفيل قره صو) رئيس المحفل الماسوني وعضو مجلس النواب العثماني مقابلته طمعا في التأثير عليه وبعد المقابلة قال اليهودي(لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجني بجديته في الإسلام) .

وفي عـــام ١٣٠٦هــــــ/١٩٠٨م أُعلن الدستور وانْتُخِب مجلس نواب تكون الوزارة مســـئولة أمامــــه فصرف جل همه في إلقاء الخُطب وكتابة المقالات مبينا مفهوم الحرية في الإســـلام ومطالباً بتحكيم الشريعة الإسلامية ومحذراً من التفسير الخطأ للحرية وقال (بني وطني لا تسيئوا تفسير الحرية كي لا تذهب من أيديكم، إن الحرية لا تتحقق ولا تنمو إلا بتطبيق الشريعة الغرّاء ومراعاة آدابها) .

وقـــد تحـــدث عن الفترة التي كان يعيش فيها موضحاً تميزها عن غيرها بقوله: إن عصرنا هذا يتميز بطابعين عجيبين:

الأول: الـــتعامي عـــن رؤية العاقبة، وترجيح مقدار درهم من اللذة الماثلة على قنطار من اللذات الآتية، وما ذلك إلا بسبب طغيان المحسوسات على عقل الإنسان وفكره، والسبيل الوحـــيد لإنقـــاذ أهل السفه من الناس من سفههم هو إظهار الألم المبرح في تلك الملذات عينها والغالبة على حسهم وكما تشير الآية الجليلة **﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾** (إبراهيم:٣) ، فـــإن المرء في زماننا هذا مع علمه وتأكده من نعم ولذات الآخرة التي تشبه الماس يفضل عليها المتع الدنيوية الشبيهة بالقطع الزجاجية المكسرة، وبذلك ينساق وراء أرباب الضلالة بعد أن كان من أهل الإيمان..

الثاني: الضلال المترتب على الإلحاد والعلوم الطبيعية والتمرد المتولد عن الكفر العنادي في الماضـــي ليعتبر أن من الضآلة بحيث لا تذكر إذا ما قيسا بما عليه الوضع في وقتنا الراهن، لذلــك فقد كانت دراسات مُحققي الإسلام وأدلتهم كافية لسد احتياجات ذلك العصر، لقــد كــان كفر عصرهم مَبنياً على الشك فكانوا يزيلونه بسرعة وكان من اليسير هداية الكــثيرين إلى الصــراط السوي وإنقاذهم من السفه والضلال بتعريف الله والتخويف من عذابه) .

أمــا الــيوم فقد تغير الحال، كَثُرَ الــمُلحدون وزاد الضلال بسبب ضلالات العلوم والفنون ووقفوا بعناد وتمرد في وجه حقائق الإيمان وبغرور فرعوني وتضليلات مدهشة .

وقــد الــتقى بالشيخ محمد نجيب المطيعي مفتي الديار المصرية في ذلك الوقت وبعد حديث موجز عن معنى الحرية قال الشيخ محمد نجيب(إنني وافقت على كلامه وإنني أحمل هذا الرأي نفسه ولا يمكن المناقشة والمناظرة مع هذا الشباب) .

عزل السلطان عبد الحميد :

لقــد أحــس الشعب التركي ببُعد جمعية الاتحاد والترقي عن الدين إلى جانب علاقة أفــرادها بالماســونية والــيهود ولذلــك فقــد أشاعوا جواً من الإرهاب واغتالوا بعض الشخصــيات الإسلامية وانتشرت الشائعات ونشأ عصيان بين رجال الجيش واجتمعوا في منتصف ١٣ نيسان ١٩٠٩م في ساحة السلطان أحمد حيث انضم إليهم بعض الجنود من المعسكرات الأخرى وكانوا يهتفون (نريد الشريعة .. نريد الشريعة) .

وانــتهى الأمر بوصول جيش الحركة الذي وجهه الاتحاديون لقمع السلطان وإعادة ســلطة الاتحاديين، وسيطر على الوضع وعزل السلطان وشُكِّلَت محكمة عسكرية لمحاكمة المسؤولين عن هذه الحادثة.

محاكمة سعيد :

كــان دور ســعيد دور الناصِــح للجنود بالعودة إلى ثكناتهم، ولكنه مع ذلك قدم لــلمحاكمة ليحكم عليه بالإعدام، وقال له الحاكم العسكري خورشيد باشا (وأنت أيضاً

تدعو إلى تطبيق الشريعة ؟ .. إن من يطالب بها يشنق هكذا (مشيراً بيده إلى المشنوقين) ، فقام سعيد وألقى على سمع المحكمة خطاباً قال فيه ..

(لــو أن لي ألــف روح لمـا ترددت في أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام، وأنا مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين علقوا في المشانق، لقد كانت هذه الحكومة تخاصــم العقــل أيــام الاســتبداد والآن فإنها تعادي الحياة فَلْيَمُت الجنون وليعش الموت وللظالمين فلتعش جهنم) .

وصدر الحكم ببراءة سعيد من المحكمة التي شنقت العشرات، وبدأ سعيد يتجول بين القــبائل يعلمهم أمور دينهم ويرشدهم إلى الحق، وفي (وان) ألّف كتاب المناظرات الذي طبع في استانبول.

بديع الزمان القائد المفتي :

وفي عــام ١٣٢٨هـ،١٩١٢م عُيِّن بديع الزمان قائداً للقوات الفدائية التي تشكلت من المتطوعين المسلمين القادمين من شرق الأناضول.

وقبــيل اندلاع الحرب العالمية الأولى أصبح بديع الزمان عضواً في تشكيلات خاصة هدفهــا المحافظة على وحدة أراضي الإمبراطورية، وقد أفتى جماعة من علماء الدين فتوى الجهــاد، وذهب سعيد إلى مدينة (وان) حيث شكل من المتطوعين فِرَقاً للجهاد وقال لهم (تهيؤوا واستعدوا ؛ إن زلزالاً شديداً أوشك على الأبواب) .

وقد اشتهر هؤلاء المتطوعون بدقة التصويب والجرأة الكبيرة حتى إن عصابات الأرمن المتعاونة مع القوات الروسية كانت تتهيب لقاء هؤلاء المجاهدين .

الحرب العالمية الأولى :

اندفعــت الجــيوش الروسية نحو الأناضول في عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦م ووصلت إلى مدينة (أرضوم) وكان سعيد يقاتل هو وطلابه الجيش الروسي، وقد شهد له القواد الأتراك بحسن بلائه وتأثيراته في هذه المعارك، وفي خنادق القتال ألّف (إشارات الإعجاز في نطاق الإيجــاز) باللغة العربية، وفي مدينه نيليس جُرِح سعيد جرحاً شديداً وأسره الروس وقدم

للمحاكمة بتهمة إهانة القيصر والجيش الروسي، وذلك لأنه لم يقم احتراماً للقائد الروسي وقد أَلحَوا عليه في الاعتذار حتى ينقذ نفسه من الحكم بالإعدام فقال :

(إنني أرغب في الرحيل إلى الآخرة والمثول بين يدي رسول الله ﷺ، وإنني في حاجة فقط إلى جواز سفر للآخرة، وأنا لا أستطيع أن أعمل ما يخالف إيماني) .

وقـد أصـدرت المحكمة قرارها بالإعدام، وفي يوم تنفيذ الحكم طلب مهلة صغيرة لصلاة ركعتين، وبعد الصلاة اعتذر القائد وقال له(إنني أهنئك على صلابتك في عقيدتك وأرجو المعذرة) .

مكـث سـعيد في الأسـر نحو عامين ونصف، واستطاع الهرب إثر حدوث الثورة البلشفية، ووصل إلى ألمانيا ومنها إلى استانبول وقد جثم على صدره يأس ثقيل نحو حياته ونحو وطنه، وجاءه المدد من القرآن الكريم فردد لسانه:

(حسبنا الله ونعم الوكيل) فوجد فيها الراحة والأمل .

في استانبول :

وفي عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م عُيِّن عضواً في دار الحكمة الإسلامية في استانبول دون عـلمه تقديراً له، وكانت الحكومة قد خصصت له مرتباً ولم يأخذ لنفسه إلا ما يقيم به أوده، والباقي طبع به بعض الرسائل التي أمر بتوزيعها مجاناً على المسلمين .

وتـتوالى الهزائم على الدولة العثمانية وتدخل جيوش الدول الاستعمارية تركياً وتعقد معـاهدة (سـيفر) ويحس سعيد بذلك ويقول (لقد كنت أحس بأن هذه الضربات التي وجهت إلى العالم الإسلامي وكأنها وجهت إلى أعماق قلبي) .

وقـد احتلـت القوات الإنجليزية استانبول، وفي عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م ألّف بديع الـزمان كتابه (الخطوات الست) وأخذ ينشره سراً بين الناس بمساعدة طلابه وأصدقائه، يهاجم فيها الإنجليز بلهجة قوية ويلفت أنظار المسلمين إلى أطماعهم، ويحارب اليأس الذي تسلط على كثير من النفوس ويشد العزائم .

الرد على الأسئلة :

وجه الإنجليز عن طريق كنيسة (انكلبكان) ستة أسئلة إلى المشيخة الإسلامية لتجيب عنها بستمائة كلمة فقال (إن هذه الأسئلة لا يجاب عنها إلا بصفعة واحدة على الوجه الصفيق للإنجليزي اللعين) .

وقد انهارت الدولة العثمانية وظهر عند بعض الأكراد المثقفين فكرة إنشاء دولة كردية، وردَّ سعيد / وهو كردي / على من دعاه إلى ذلك بقوله (سأكون معك إن حاولت إحياء الدولة العثمانية وأنا مستعد للتضحية بنفسي في هذا السبيل أما تكوين دولة كردية فلا).

مع مصطفى كمال :

دعا مصطفى كمال سعيد النورسي للانضمام إلى حركة المقاومة في أنقرة ورفض سعيد لأنه يجاهد في أخطر الأمكنة، ولكن الدعوة تكررت بإلحاح فأرسل بعض طلابه ثم ذهب هو.

ولاحظ أن معظم النواب لا يؤدون الصلاة، كما أن تصرفات مصطفى كمال وسلوكه المعادي للإسلام أحزنه كثيراً، فقرر أن يطبع بياناً في عام ١٣٤٢ هـ/١٩٢٣م يتضمن عشر مواد موجهاً إلى النواب يعظهم فيه ويذكرهم بالإسلام، وكان من أثر هذا البيان أن استقام ستون نائباً على التديُّن وأقاموا الصلاة، واستدعاه مصطفى كمال واتهمه بأنه عن طريق بيانه يبث الفرقة بين أهل المجلس، فأجابه سعيد بقوله (**إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة، وإن الذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود**) .

لذا أراد مصطفى كمال إبعاده بمرتب مُغْرٍ لكي يكون واعظاً عاماً للولايات الشرقية، ولكن سعيداً رفض ذلك، ثم نشر رسائل وكتباً باللغة التركية والعربية .

ثم رحل إلى (وان) عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م بعد أن شعر بالنوايا الخفية السيئة التي كان يُكنّها للإسلام الكثير من الأعضاء، وكان يكثر من التهجد والدعاء لله أن ينقذ المسلمين مما هم فيه، واعتقل سعيد ونُقِل إلى مدينه (بور دور) حيث تفرغ للعبادة وتأليف رسالة (المدخل إلى النور) ، وهي عبارة عن دروس قرآنية استنسخت باليد وتداولها طلابه

ومحـــبوه، ومَنْ ثَمَّ نُقِل إلى (إسبارطة) ثم نقل إلى (بارلا) على متن زورق في عام ١٣٤٥ هـــ/١٩٢٦م حيث مكث فيها ثماني سنوات ونصف، وألّف فيها معظم رسائل النور.

كانت تركيا في هذه الفترة تعيش دوراً حالكاً من الاستبداد والطغيان والعداء الصريح الشـــرس للدين ومحاولة إطفاء نور الله ومحاربة شريعته باسم التمدن والحضارة، واستمرت هـــذه الفترة مدة ربع قرن من الزمان، حيث بدؤوا بمنع تدريس الدين في المدارس، وبَدَّلُوا حـــروف الكـــتابة العربية إلى الحروف اللاتينية، وأعلنوا علمانية الدولة، وشكّلوا محاكم زرعت الخوف والإرهاب في طول البلاد وعرضها، حيث نصبت المشانق لعلماء المسلمين ولكـــل من تحدثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة، وكانت (بارلا) معتقلاً لسعيد النورسي، وأحس فيها بالعزلة والغربة وقد اعتلت صحته وكان قليل الإقبال على الطعام .

كيف ينقذ الإيمان ؟

قـــرر سعيد النورسي أن يعمل على إنقاذ الإيمان في تركيا، وكان يرى أن هذه مسألة أساسية لا تحتمل التأجيل والتسويف، وكان يقول للناس :

(إن الوقت الآن هو وقت إنقاذ الإيمان) .

وكـــان يمـــلي رسائل النور على بعض طلابه ثم يصححها بنفسه، وكان يصر على كتابـــتها باللغة العربية، ولم يكن هناك وسيلة إلا الكتابة باليد لأن المطابع التي تطبع اللغة العربية أغلقت، وقد أسهمت النساء في نشر رسائل النور عن طريق الاستنساخ لمن تعرف الكـــتابة، ومن لا تعرف كن يقلدن الكتابة تقليداً أو يقمن بالأعمال اليومية لبيوتهن كي يـــتفرغن كليةً لكتاب (رسائل النور) ، ومن الطريف أن جملة ما نسخ باليد يبلغ (ستين ألف نسخة) .

وفي عام ١٣٥١هـــ/١٩٣٢م صدرت الأوامر بمنع الآذان الشرعي للصلاة في تركيا، فأصـــبح يردد باللغة التركية، ومن خالف عوقب عقاباً شديداً، ثم نقل سعيد النورسي في عـــام ١٣٥٣هـــــ/١٩٣٤م إلى (إسبارطة) حيث عكف على تأليف رسائل النور، وبعد ذلـــك بأسبوع اعتقل ووضعت الأغلال في يديه وفي أيدي تلاميذه وكانت التهم الموجهة إليه هي :

١ - تأليف جمعية سرية .	٢ - العمل على هدم الثورة الكمالية .

٣- تشكيل طريقة صوفية .	٤- إثارة روح التدين بنشر رسالة (التستر للنساء)

وكان جزاء هذه التهم الإعدام.

وقـــد وضع في سجن انفرادي وضيقوا عليه الخناق بأساليب كثيرة بهدف التأثير في روحـــه المعنوية ولكنه استمر في تأليف رسائل النور، كما أن كثيرين من المجرمين في هذا الســـجن تابوا على يديه إلى الله تعالى وبدؤوا في اتباع الطريق المستقيم، و لم تثبت عليه أية تهمة ولكنه سجن أحد عشر شهراً بسبب رسالة عن (تستر النساء) .

ثم نقـــل إلى (قسطموني) حيث أقام فيها سبع سنين، استمر خلالها في كتابة (رسائل الـــنور) ، واســـتمر في مراســـلة طلابه بشتى الوسائل متخطياً العيون المتربصة عن طريق استنساخ الرسائل، وهناك طلاب استنسخوا وحدهم أكثر من ألف رسالة .

تحول عن الإسلام :

وقـــد بدؤوا صفحة جديدة في حرب الإسلام - وقد حاولوا أن يخلعوا ثياب سعيد الـــتي حـــرمها كمال أتاتورك ولكنه أبى ذلك إباء شديداً - وقد حذفوا كلمات الخالق والـــرب والله جل جلاله من الكتب المدرسية ووضعوا مكانها " الطبيعة والتطور والوطنية والقومية " وأصبح من علامات الثقافة والعلم إنكار وجود الله تعالى .

و لم تنفع كل التدابير الحكومية في إيقاف تقدم الحركة ولذلك فإنها لجأت إلى أساليب أخرى، فدسوا السم له وداهموا منـــزله عدة مرات و لم يعثروا إلا على بعض الرسائل التي تبحـــث مســـائل الإيمـــان بالله واليوم الآخر والأخلاق، ومع ذلك فقد اعتقلوه مع مائة وعشـــرين مـــن طلاب النور، وكانت التهمة التي وجهت إليه نفس التهم السابقة، وهي تألـــيف جمعية سرية، وتحريض الشعب على الحكومة العلمانية، ومحاولة قلب نظام الحكم، وتســـمية مصطفى كمال بالدجال وهادم الدين، ثم نقل إلى أنقرة بإحدى سيارات النقل، واســـتمر في السيارة يدعو إلى الله تعالى، ولما وصل إلى أنقرة حاول الوالي أن ينـــزع عنه زيَّه قسراً، فقال له (إن هذه العمامة لا ترفع إلا مع هذا الرأس) مشيراً إلى عنقه .

ومـــن الطـــريف أن هـــذا الحـــاكم قد انتحر في عام ١٣٨٤هـــ/١٩٦٤م بإطلاق الرصاص على رأسه.

ثم نقـــل سعيد إلى سجن (ديزلي) ، وقامت الحكومة بتأليف لجنة تدقيق رسائل النور لتُـبين مـــا إذا كانـــت تحتوى على موضوعات سياسية أو غير ذلك من الأشياء المخالفة للدســـتور، وجاء في قرار اللجنة (ليس لبديع الزمان فعالية سياسية، كما أنه لا يوجد أي دلـــيل على أنه قد أسس طريقة صوفية أو أنه قام بإنشاء أية جمعية، وإن موضوعات كتبه تدور كلها حول المسائل العلمية والإيمانية وهي تفسير للقرآن الكريم) .

وقد برأته المحكمة من التهم المنسوبة إليه، ولكنهم استمروا في اعتقاله ثم نفي إلى قضاء (أميرداغ) حيث استمروا في اعتقاله أيضاً، وإذا أفرجوا عنه استمروا في مراقبته والترصد له ومداهمـــة بيته وبيوت تلاميذه، وبذلك أشاعوا جواً من الإرهاب في عدد من المدن التي بها تلاميذه، وقد حكم عليه بالسجن وعلى تلاميذه لمدد مختلفة، وقد تركوه وحده في زنزانة كـــبيرة عارية تَسَع ستين غير مُدفئة، بينما الثلوج تتراكم على زجاج نافذته، وقد دسُّوا له السم في طعامه، ولكن الله تعالى حفظه وعندما حاول بعض طلابه إسعافه ضربوهم ضرباً مبرحاً، وفي هذا السجن اهتدى على يديه كثير من المجرمين والقتلة، كما استمر في التأليف فـــألّف (الشعاع الخامس عشر) وقد تناول هذا الموضوع بالأدلة القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته وعلى صدق نبوة محمد ﷺ .

سعيد الجديد :

تبدأ هذه المرحلة من بداية حياته في منفاه في بارلا عام ١٣٥٥هـــ/١٩٢٦م، وتستمر حتى خروجه من سجن (أفيون) ، في عام ١٣٦٩هـــ/١٩٤٩.

وقد طلق سعيد الجديد الحياة السياسية تحت شعاره المعروف (أعوذ بالله من الشيطان والسياســـة) وأخذ على عاتقه مسألة (إنقاذ الإيمان) في تركيا، وبذلك فوت الفرصة على أعداء الإسلام للوقوف أمام نشاطه، وقد قُدِّم للمحاكمة ست مرات ومع ذلك فلم يجدوا دليلاً قانونياً ضده .

ولم يتوان سعيد النورسي عن خدمة القرآن الكريم، فلم يراجع كتاباً غير القرآن الكريم، وكان يستلهم من الآية الكريمة معانيها ويعيش معها حالات قلبية وروحية خالصة في أجوائها، ثم يملي على من حوله من الطلبة ما يفتح الله به عليه وما يَرِد على قلبه من المعاني الجليلة للآية الكريمة، ولم يكن لتلك الفتوحات الربانية من وقت معين ولا مكان معين إذ فتح الله على قلبه (رسالة الحشر) وهو يغدو ويروح ذهاباً وإيابا على ضفاف بحيرة بارلا وهو يردد الآية الكريمة :

﴿فَانْظُرْ إِلَى ءَاثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الروم: ٥٠).

أما **رسالة المعجزات الأحمدية** فقد أملاها على بعض طلبته خلال أربعة أيام وبمعدل ساعتين في اليوم في شعاب الجبال والبساتين، فكانت حصيلة ذلك ثلاثمائة ونيف من معجزات الرسول الأعظم ﷺ مع ذكر ما فيها من نقول وروايات، وقد فتح الله عليه في سجن (دينزلى) في يومين من أيام الجمع كثيراً من الرسائل، وهكذا تم تأليف أكثر من مائة وثلاثين رسالة من رسائل النور في ثلاث وعشرين سنة بفضل الله الكريم وبفضل قرآنه العظيم .

سعيد الثالث :

تبدأ هذه المرحلة التي أطلق فيها سعيد على نفسه (سعيد الثالث) منذ خروجه من سجن مدينه (أفيون) عام ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م وحتى وفاته عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

وتتميز الأوضاع في تركيا في هذه المرحلة بعودة الأحزاب السياسية إلى النشاط بعد أن كان هناك حكم الحزب الواحد، وفي هذه المرحلة اتخذ بديع الزمان لنفسه أسلوباً جديداً في التدريس، فكان يقوم بالتدريس على منهجه الخاص بتثبيت الحقائق الدينية، أي إثباتها بالبراهين العقلية والحجج القطعية وتقريبها إلى الأذهان بضرب الأمثال وجعلها نصب العيون، وكثيراً ما كان يستدل بالآيات الكونية والصناعات والمخترعات الحديثة وكان ينور أذهان طلبته ويفتح عيونهم إلى محاسن الدين الإسلامي، ويضع الأصابع على أسرار حكم التشريع بمزجه العلوم الحديثة الثابتة مع الحقائق الدينية .

وقـد أخذت الأفكار التي استقاها بديع الزمان من القرآن الكريم والتي كتبها بطريقة فـريدة في ظروف مختلفة ومواطن شتى تنتشر بسرعة وتتسع لتصل إلى آفاق بعيدة وبلدان كـثيرة من العالم فانتشر في الولايات المتحدة رسائل النور هناك، وقامت جماعة النور في ألمانـيا الغربية بنشر رسائل النور باللغة الأجنبية في أوروبا وأمريكا، فترجمت رسائل النور إلى كـثير مـن اللغات ومنها العربية والألمانية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والأردية والكردية.

في هذه المرحلة بدأ سعيد بالتدريس الجماعي لرسائل النور، إضافة إلى نشاطه السابق، ونظراً لتقدمه في السن وحاجته إلى الرعاية أصبح تلاميذه يبيتون معه في البيت.

وابـتداءً من عام ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م راجت رسائل النور رواجاً كبيراً، إذ سمح لها بالطـبع عـلى الرونيو فأصبحت آلاف النسخ تنشر في المدن وفي القرى وتكسب آلاف الأنصار وتشعل جذوة الإيمان في القلوب.

لقـد استبشـر المسلمون بمجيء الحزب الديمقراطي إلى الحكم، لأنه أراح الناس من حكـم أشرس عدو للإسلام ولأنه أعطى بعض الحرية للنشاط الإسلامي، وأرجع الآذان باللغة العربية.

وذهب بديع الزمان إلى مدينه إسبرطة، حيث مكث فيها سبعين يوماً، وطبع تلاميذه رسـالة (مرشد الشباب) بالحروف الجديدة فأقيمت دعوى ضده لمخالفته للمادة ١٦٣ في الدسـتور التركي وهي المادة التي تحظر أي نشاط يستهدف إقامة الدولة على أسس دينية وعاد إلى استانبول بعد بُعْدِه عنها ٢٧ عاماً، والتقى بتلاميذه وأصدقائه، وقُدِّم إلى المحاكمة في عـام ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م بتهمة أنه يحاول رسم طريق معين للشباب بوساطة هذه الأفكـار، وأنـه يدعـو النساء إلى الاحتشام وعدم السير والتجول بملابس تكشف عن أجسـامهن لأن ذلـك يصـادم الفطرة ويخالف الإسلام والآداب القرآنية وذلك مخالف للقانون التركي، وقال في حديثه للمحكمة (إن قيام الشباب بطبع رسالة الشباب يجب أن يكـون مبعـث السرور والارتياح، لأن هذه الرسالة تحاول إنقاذ الشباب والشابات من

التيارات العديدة التي تعمل على هدم بنية المجتمع ونخر جسمه وأصدرت المحكمة قرارها بالبراءة .

وبعد ذلك ذهب إلى (أميرداغ) وله في هذه المدينة ذكريات وتلاميذ وأصدقاء، ولكن رجال الشرطة السريين كانوا يتتبعونه ثم اعتقلوه.

وفي هذه الفترة حاول شاب مسلم أن يغتال صحفياً من طائفة (الدونمة) وهي طائفة يهودية تظاهرت بالإسلام لتقوم بدور تخريبي كبير في تركيا، فقامت لذلك حملة صحفية رهيبة ضد الإسلاميين وصدرت الأوامر بغلق جميع الصحف والمجلات الإسلامية واعتقال جميع الكتاب المفكرين المسلمين العاملين فيها، وقُدِّم عدد منهم إلى المحكمة ومنهم الشيخ بديع الزمان الذي كان مريضاً وعمرة ثمانون عاماً وصدر الحكم ببراءته .

وفي استنبول :

التقى ببطريك الروم في عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م عام الاحتفال بمرور خمسمائة عام على فتحها وقال البطريك: إنه يعترف بنبوة محمد وبأن القرآن الكريم كتاب الله، وأنه مستعد لأن يعترف بذلك أمام الرؤساء الروحانيين ولكنهم لن يقبلوا ذلك .

ثم ذهب إلى (أميرداغ) ثم إلى (اسكى) شهر ثم إلى (إسبارطة) ثم إلى (بارلا) وفي كل بلد كان الصغار والكبار يخرجون لاستقباله وهم يرددون.. أين الشيخ ؟ ..أين الشيخ ؟..

وأخيراً ذهب إلى مدرسته الأولى وإلى شجرته الحبيبة التي تعتبر قطعة من حياته حيث كان تحت أغصانها يتهجد بذكر الله تعالى مستعيداً بذلك ذكرياته الحبيبة إلى قلبه .

محكمة أفيون :

شكلت محكمة أفيون لجنه لتدقيق رسائل النور وإبداء الرأي فيها، وبعد ثماني سنوات وفي عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م أصدرت قرارها بأن هذه الرسائل تخلو من أي عنصر مخالف للقانون، ولذلك بدأت المطابع في طبع هذه الرسائل ونشرها وكان الشيخ بديع الزمان فرحاً بذلك وقال (هذا هو عيد رسائل النور كنت أنتظر مثل هذا اليوم، لقد أنهيت مهمتي إذن، وسأرحل قريباً).

أواخر أيامه :

في عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م أجريت الانتخابات العامة في تركيا وأعطى الشيخ صوته للحزب الديمقراطي الذي كان يعطي جواً من الحرية، وانحسرت في أيامه موجة العداء الوحشي للإسلام، ولذلك أصبح الشيخ قليل اللقاء بالناس وكان يقول (إن قراءة رسائل النور أفضل مائة مرة من الحديث معي) .

وبعد عامين اعتقل جميع من كانوا في خدمته من طلاب النور الذين كانوا ينشرون رسائل النور، وطلبوا من محاميهم أن يسعى للدفاع عن الدعوى وشرحها دون الاهتمام بقضية إطلاق سراحهم وهم راضون البقاء في السجن، وبدأ سعيد الثالث يسافر إلى جميع المدن التي كان يقيم فيها وكأنه كان يريد أن يودع طلابه ومحبيه، وقد أثارت هذه الزيارات المتلاحقة رعب الأوساط المعادية للإسلام فشنوا حملة عنيفة على الشيخ بديع الزمان لإثارة الرأي العام ضده، مختلقين سلسلة من الأكاذيب والافتراءات وكأن هناك فتنة دامية ستحل بالبلد، وامرأته الحكومة بالبقاء في أميرداغ وذلك في سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

وبعد فترة قصيرة استدعى طلابه وودعهم واحداً واحداً، قائلاً لهم وعيناه تفيض بالدمع (أستودعكم الله إني راحل) ، ثم طلب من تلاميذه أن يسافر إلى (أورفة) ، على الرغم من مرضه وكبر سنه أصر على ذلك، وبعد وصوله أصر رجال الشرطة على عودته إلى (إسبارطة) ، ولكنه لم يتمكن من ذلك لأن درجة حرارته ارتفعت، ولقي ربه في يوم الأربعاء (الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٧٩هـ/ ٢٣ من مارس ١٩٦٠م) ووري في التراب في مقبرة (أولوجامع).

وبعد أربعة أيام من وفاته وقع انقلاب عسكري أطاح بالحزب الديمقراطي، وسِيْق أعضاء الحكومة إلى المحكمة التي نفذت حكم الإعدام على رئيس الوزراء واثنين من وزرائه، وبالسجن بمدد مختلفة لعدد من الوزراء والمسؤولين السابقين، وانتقاما من الشيخ بديع الزمان قاموا بنقل رفاته إلى جهة غير معلومة بحجة أن زوارا عديدين يأتون لزيارته.

الإيمان وتكامل الإنسان

يقول الشيخ بديع الزمان: إن الإنسان هو سيد المخلوقات على الرغم من أنه صغير جداً، وذلــك لمــا يملك من فطرة شاملة، فهو قائد الموجودات والداعي إلى سلطان أُلوهيَّة الله تعالى، والممثل للعبودية الكلية الشاملة ومُظهِرها، لذا فإن له أهمية عظمى .

والكفر جريمة كبرى لأنه يهبط بقيمة الكائنات إلى الهاوية، والخيانة التي لا حدود لها توجد عذابا لا حدود له .

والإيمــان بــالله تعالى نور يضيء جنبات الكائنات، وهو قوة عظمى تسمو به إلى أعلى علّيــيّن، وهو نعمة كبرى توصله وتربطه بخالقه .

والكفــر ظلام يسقط الإنسان من مرتبة الإنسانية إلى أدنى مراتب الحيوانية، فتلقي به إلى أســفل سافلين، يقول الله تعالى ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ . إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** ﴾(سورة التين:٤-٦)

والإنســان يســمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين، فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة، بيــنما يــنــزل به الكفر إلى أسفل سافلين فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم، ذلك لأن الإيمــان يــربط الإنسان بخالقه الجليل، يربطه بوثاق شديد وينسبه إليه، أما الكفر فيقطع تيارات الصلة وتغشى ظلمته الصنعة الربانية فتنتهي قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته.

والإنسان هو الصنعة الرائعة للخالق الصانع سبحانه وتعالى، فإذا استقر نور الإيمان في هــذا الإنسان فإنه يتحول إلى مرتبة أسمى المخلوقات قاطبة، وبذلك يصبح أهلاً للخطاب الإلهــي وينال شرفاً يؤهله للضيافة الربانية في الجنة، أما الكفر فإنه يهدم الماهية الإنسانية ويحيــلها مــن جوهرة نفيسة إلى فحمة خسيسة، وإلى جانب ذلك فإن الإيمان نور يغمر الإنسان بنوره ويظهر بارزاً في جميع المكنونات، فإذا وجد الإيمان الكامل في قلب الإنسان وانكســرت فرعونــية النفس وأصغى إلى كتاب الله تعالى فإنه يمتلئ بالنور الإلهي ويرى الموت مقدمة لحياة أبدية ويرى القبر باب سعادة خالدة .

والإنســـان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات مستنداً إلى قوة إيمانه فيبحر في سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية لكمال الأمان والسلام قائلاً (توكلت على الله) ، ويسلم أعباءه الثقيلة إلى يد القدير المطلق، وبذلك يقطع سبل الدنيا مطمئن البال في سهولة ويسر حتى يصل إلى البرزخ ويستريح، ثم يرتفع إلى الجنة للدخول في السعادة الأبدية، أما إذا ترك التوكل فإن هذه الأثقال ستجذبه إلى أسفل سافلين .

فالإيمـــان يقتضـــي التوحـــيد، والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين.

معنى التوكل:

الـــتوكل عـــبارة عن العلم بأن الأسباب هي حجب بيد القدرة الإلهية ينبغي رعايتها ومداراتها، وطلب المسببات وترقب النتائج لا يكون إلا من الحق سبحانه وتعالى وإن المنة والثناء لا ترجع إلا إليه وحده .

ثم إن الإيمـــان يجعل الإنسان إنسانا وسلطانا، لذلك كانت وظيفته الأساسية الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه، بينما الكفر يجعل الإنسان حيوانا مفترسا في غاية العجز، ووظيفة الإنسان الفطرية التكمل بالعلم والترقي عن طريق كسب العلم والمعرفة والعبودية بالدعاء.

والإيمـــان يقتضي الدعاء ويتخذه وساطة بين المؤمن وربه، كما أن الفطرة الإنسانية تتلهف بشدة وشوق فإن الله تعالى يدعو الإنسان إلى الأمر نفسه، يقول الله تعالى ﴿ **قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا** ﴾ (الفرقان:٧٧) .

وكـــل دعاء مستجاب إلا أن قبوله وتنفيذ المطلوب نفسه منوط بحكمة الله تعالى، ثم إن الدعـــاء ضرب من العبودية وثمار العبودية وفوائدها أخروية، أما المقاصد الدنيوية فهي أوقات ذلك النوع من الدعاء والعبادة وليست غاياتها .

والعبودية لابد وأن تكون خالصة لوجه الله تعالى، بأن يأوي الإنسان إلى ربه بالدعاء مظهراً عجزه مع عدم التدخل في إجراء ربوبيته أو الاعتراض عليها، وتسليم الأمر كله إليه وحده، مع الاعتماد والاطمئنان إلى حكمته دون اتهام لرحمته ودون القنوط منها.

والدعاء نوعان :

دعاء فعلي ودعاء قلبي، والإنسان لكونه مخلوقاً في أحسن تقويم وموهوباً بأتم استعداد جـــامع فإنـــه يـــتمكن من دخول ميدان الامتحان الذي ابتلي به ضمن مقامات ومراتب ودرجات ودركات مصفوفة ابتداء من سجن إلى رياض أعلى عليين.

وفي الإنسان جهتان:

جهـــة الخـــير والإيجابـــية والعقل، وجهة التخريب والشر والسلبية، والنفس الأمارة بإمكانهـــا اقـــتراف جنايات لا نهاية لها من جهة الشر والتخريب، أما في الخير فإن طاقتها محدودة وجزئية، وفي الإنسان جهة الأنانية المقصورة على الحياة الدنيا.

وجهة العبودية الممتدة إلى الحياة الأبدية والسمو والترقي الحقيقي إنما يكون بتوجيه القلب والروح والعقل إلى الحياة الأبدية الباقية، وإشغال كل منها بما يخصها ويناسبها من وظائف العبودية، وإخضاع اللطائف السامية لأوامر النفس والهوى وطمس وظائفها الأصلية يعتبر سقوطاً وانحطاطاً لا ترضاه لا ترقياً ولا صعوداً.

ثم إن الإنســـان من جهة العمل وعلى أساس السعي المادي ما هو إلا حيوان ضعيف ومخلـــوق عاجـــز، فإذا استند إلى أنانيته وغروره واتخذ الحياة الدنيا غاية آماله فإنه سوف يغـــرق في دائرة ضيقة ويذهب سعيه أدراج الرياح، أما إذا أدرك أنه ضعيف عاجز وتحرك ضـــمن دائرة مرضاة الله الكريم فإنه يعيش آمنا مطمئناً وبإمكانه الصعود والترقي إلى أعلى عليين.

والإنســـان في هذا الكون أشبه ما يكون بالطفل الضعيف المحبوب، يحمل في ضعفه قـــوة كـــبيرة، وفي عجـــزه قدرة عظيمة، فبقوة هذا الضعف سُخرت له كل الموجودات وانقادت، فإذا ما أدرك الإنسان ضعفه ودعا ربه وأدى الشكر والثناء على ذلك التسخير فـــإن الله تعالى سيوفقه إلى مطلوبه، وتتحقق مآربه، وتأتي إليه طائعة متعاونة، أما إذا ألقى الســـمع إلى النفس الأمارة والشيطان فإنه سيسقط إلى أسفل سافلين، لأن الإنسان أُرسل إلى الدنـــيا ضـــيفاً وموظفـــاً ووهبت له مواهب واستعدادات مهمة جداً، وأسندت إليه وظائف جليلة، وقد رهب ورغب لإنجاز عمله.

نعـــــم إن الإنسان له عبودية وتَفَكُر بصورة غيابية وعبودية ومناجاة بصورة مخاطبة حاضرة.

أما الأولَى فتصديق بالطاعة لسلطان الربوبية، واستنباط العبرة من الدروس، والتفكير في إعجـــاب في مخلوقـــات الله تعـــالى، **وأما الثانية** فإنه يرى أن الجليل قد جعل الأرض معرضـــاً لعـــرض جميع الصنائع، فيقابل ذلك بالاستحسان، فيقول: سبحان الله والله أكبر وبـــارك الله، وينصب راية التوحيد في آفاق العالم معلنا ربوبية الخالق فيقابله هو بالتصديق والإيمان والتوحيد والإذعان والشهادة بالعبودية .

أمراض الإنسان وعلاجهـــا

يقـــول الشـــيخ بديع الزمان: هناك ستة أمراض قاتلة جعلتنا نقف على أبواب القرون الوســـطى ونتـــيه في مســـالكها المظـــلمة، في الوقـــت الذي طار فيه الأجانب وبخاصة الأوروبـــيون/ بخطى واسعة/ نحو المستقبل وهم يتسابقون في ميدان الرقي والتقدم العلمي، وهذه الأمراض هي:

١- اليأس والقنوط الذي مازال يجد أسباب الحياة في نفوسنا.

٢- موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

٣- حب العداوة. ٤- تجاهل الرابطة الروحية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

٥- ذيوع الاستبداد وذيوع الأمراض المعدية المختلفة.

٦- حصر الهمة في المنفعة الشخصية دون الالتفات إلى النفع العام.

والعلاج يؤخذ من صيدلية القرآن الكريم على النحو الآتي:

الـــثقة في الرحمة الإلهية والاعتماد عليها إلى أقصى حد، لأن الإسلام يحمل في طياته اســـتعدادا تاما للرقي والتقدم معنى ومادة، والتاريخ يشهد على أن السر في قوة المسلمين ورقـــيهم وتقدمهـــم يكمن في تمسكهم بدينهم، ولو أننا طبقنا الإسلام وأظهرنا كمالات أخلاقـــه وحقائقـــه الإيمانية في سلوكنا وأفعالنا لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام

جماعـــاتٍ وأفراداً، بل ولربما اعتنق الإسلام بعض قارات ودول العالم بأسره، وما لم يوجد في القلـــب صدق جوهر الدين الحق وروحه فسوف تقوم قيامة مادية ومعنوية على رأس البشرية.

تـــرى لماذا لم تستول حقائق الإسلام الساطعة على الزمن الماضي ؟ والإجابة تكمن في جهـــل الأجانب وتوحشهم وبعدهم عن التمدن الحقيقي وتعصبهم لدينهم آنذاك، وقد بـــدأت هـــذه الأســـباب تزول بفضل التقدم العلمي ومحاسن التمدن ورئاسة القسيسين والـــزعماء الروحانـــيين وتحكمهـــم في أفكار الناس، وتقليد الأجانب لهؤلاء القسيسين والـــزعماء الروحانـــيين تقليداً أعمى، وقد أخذ هذان المانعان أيضاً في الزوال بعد انتشار الحرية الفكرية وميل النوع البشري إلى تحري الحقائق.

وقـــد تفشـــت فيـــنا روح الاستبداد وانتشرت الأخلاق الذميمة المترتبة على مخالفة الشريعة الغراء بيننا وهذان المانعان قد لا يكون من السهل إزالتهما، ولكن رفع الاستبداد الفـــردي مرهون برفع الاستبداد الجماعي، كما أن فوران الحمية الإسلامية والوقوف على النـــتائج المخـــزية للأخلاق الذميمة كفيلان برفع هذا المانع أيضا، وقد توهم بعض الناس وجـــود نوع من التناقض بين حقائق الإسلام وبين ما توصلنا إليه من العلوم الحديثة من نـــتائج، وقـــد بـــدأت روح تحري الحقائق والإنصاف والمحبة الإنسانية تعمل على محاربة طوائف الأعداء، والفضل ما شهدت به الأعداء، ومن ذلك قول بسمارك الذي يعتبر من أشهر رجال الفكر في تاريخ أوروبا:

(لقـــد درســـت الكتب السماوية بدقة وشمول ، ونظراً لتحريفها فإنني لم أجد فيها الحكمـــة الحقيقـــية الـــتي تكفل سعادة البشرية ، بَيْدَ أنني وجدت قرآن محمد يعلو سائر الكتب) .

وهـــناك خمس قوى اجتمعت وامتزجت في قلب الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي، وهذه القوى قوية بحيث لا يمكن أن تغلب أو تقهر:

القـــوة الأولى: الحقـــيقة الإســـلامية التي تجعل المسلمين جميعاً كنفس واحدة وهي مجهزة بالتمدن الحقيقي والعلوم والفنون الصحيحة .

القوة الثانية: الحاجة الملحة للتمدن والصناعات والفقر الذي كسر ظهورنا.

القوة الثالثة: الحرية الشرعية المعلمة للبشرية طريق التسابق نحو المعالي الممزقة للاستبدادات والمظالم.

القوة الرابعة: الشهامة الإيمانية المقترنة بالشفقة، وذلك يستلزم عدم المداهنة أمام المستبدين وعدم التحكم في المساكين أو التكبر عليهم.

القوة الخامسة: عزة الإسلام بإعلاء كلمة الله تعالى، وذلك يستلزم التقدم المادي والتمدن الحقيقي سوف يحقق الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي.

وحضارة أوروبا لم تتأسس على الفضيلة والهدى، ولذلك تغلبت سيئات هذه الحضارة على حسناتها.

وقد ثبت بالبحث والاستقراء وتجارب العلوم المتكررة أن الخير والجمال والكمال هو الغالب المطلق في نظام الكائنات، وأن الشر والقبح والباطل في خلقة الكائنات جزئي وتبعي، وأن أكرم المخلوقات وأشرفها هو الإنسان الذي يستطيع أن يكشف بعقله عن الأسباب الظاهرية في الكائنات، ويفرّق ما بين الأسباب والنتائج من مراق، وأن أشرف وأفضل أهل الحق الذين أكرمهم الله تعالى هم المسلمون وأن محمداً هو أشرف الخلائق.

اليأس:

اليأس داء قاتل وقد وجد أسباب الحياة في قلب العالم الإسلامي، وإني لعظيم الأمل في رحمة الله تعالى وفي أن العرب سيتخلون عن اليأس، ويمدون العون والتآزر والوفاق الحقيقي إلى جيش الإسلام الباسل .

والصدق:

من أسس الإسلام وواسطة العقد في سجاياه الحقيقية الدقيقة، فعلينا أن نُحيي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية ونداوي به أمراضنا الروحية.

والرياء:

نوع من الكذب العقلي، والمداهنة كذب مرذول، والمحبة أجدر الأمور بالمحبة.

وقد أثبتت الحربان العالميتان ما في روح العداوة من ظلم وتخريب وفساد، وأن غرور الإنســـان وأنانيته يقودانه أحياناً إلى اتخاذ موقف المعاداة تجاه إخوانه المؤمنين بدون شعور فيظن الإنسان نفسه محقاً.

الشورى:

والـــدرس الذي تعلمته من الشورى الشرعية هو أن سيئة الرجل الواحد منا في هذا الزمان لا تبقى سيئة واحدة وإنما تتكرر وتتضاعف أحياناً حتى تصبح أحيانا مائة، كما أن الحسنة تكبر وتتضاعف حتى تبلغ الآلاف أحياناً.

إن الحرية الشرعية والشورى المشروعة قد أثبتت سيادة أمتنا.

إن مفـــتاح ســـعادة المجتمع الإسلامي يكمن في الشورى، وقد أمرنا القرآن الكريم باتخاذ الشورى في جميع أمورنا، يقول الله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى:٣٨).

وإن الحرية الشرعية النابعة عن الإيمان تأمر بأساسين:

١- أن لا يذل المسلم ولا يتذلل فمن كان عبداً لله فإنه لا يكون عبدا للعباد.

٢- أن لا يجعل بعض الناس أرباباً من دون الله.

رسائل النور

يعتبر بديع الزمان النورسي من أعمق المصلحين المجددين إيماناً، وأغزرهم علماً، وأصلبهم جهاداً، وأدقهم فهما لطبيعة المرحلة.

لقد انبثق في سماء تركيا انبثاق البدر في حلكات الظلام وقام بدور تجديدي عظيم في بعث الهمم وإنقاذ الإيمان ومقاومة الفكر الغريب الذي يغزو أفكار المسلمين، وذلك بعرض حقائق الإسلام والوقوف كالطود الشامخ أمام الكفر ومؤامراته والفرقة وشعاعاتها، داعيا إلى الأخوة والمحبة وبناء الذات، والخلاص من الأنانية، ونبذ العبودية للأصنام الجديدة التي جاءت بها الأفكار المادية في الحضارة الغربية الحديثة، فاستنارت بفكره العقول، وصَفَت بدعوته القلوب، واطمأنت بروحانيته النفوس.

وقد سَخَّر حياته في بناء الشخصية المسلمة وإنقاذ المجتمع المهدد من انهيار حضاري وإيماني وأخلاقي من خلال أكثر من مائة وثلاثين رسالة انبثقت من هدي القرآن الكريم والسنة النبوية، شرح فيها أصول العقيدة الإسلامية بأدلتها العقلية والعلمية، وقدم من خلالها مذهبية الإسلام الشاملة في الكون والحياة والمجتمع والإنسان بدقائقها وبمقدماتها ونتائجها، معالجا المشكلات الخطيرة التي أثيرت في عصره أمام الإسلام، تلك التي نسجت خيوطها العنكبوتية الواهية دوائر الاستشراق ومراكز التبشير والمؤسسات الثقافية الملحقة بوزارات المستعمرات في الدول الاستعمارية، مبيناً إعجاز القرآن الكريم، وصدق النبوة، وحكمة التشريع، وإنسانية الإسلام، وعظمة مبادئه الروحية والأخلاقية.

وقد قدم الرسائل بفهمه الخاص لما كان يجد فيه من لذة أسرار الأدلة، وحلول المشكلات التي تدخل الهدوء والاتزان إلى عقله المضطرب، وبفهمه العام لما كان يجد فيه من عرض الحقائق الكونية العويصة بأسلوب المنطق الفطري الذي كان يفهمه هو ولا يفهمه غيره.

وقد استطاعت هذه الرسائل أن تبني في تركيا كلها مدرسة إسلامية روحية وثقافية مستقيمة المسالك أتت أكلها بإذن ربها في كل مكان.

وســر نجــاح النورســي في إحياء معاني الإيمان في كيان مئات الألوف من الخاصة والعامــة مــن أبناء جيله والأجيال التالية له يكمن في إيمانه العميق وحماسه المنقطع النظير وأســلوبه الــرباني القرآني الذي ابتعد عن علم الكلام التقليدي وتوجهه إلى مخاطبة العقل الفطري والقلب السليم ممتزجين في الجبلة الإنسانية.

لقد حملت رسائل النور معاول التوحيد الحق، وأهوت بها على مراكز الثقافة الفكرية والاجتماعية التي تفرعت من المدارس المادية التي سارت في القرون الأخيرة فأنقذت المجتمع التركي المسلم من كارثة حضارية محققة لأن الأمر وصل إلى تدريس تلك المبادئ المادية في المــدارس والــتمكين لهــا في نفــوس الناشئة وأبناء الجيل الجديد على صفحات المجلات والصحف وعبر أجهزة الإعلام المتنوعة.

لقــد قضى النورسي حياته وهو يريد أن يثبت من خلال رسائل النور أستاذية القرآن في الكــون كلــه كي ينتهي إلى أن تلاميذ القرآن هم أساتذة الدنيا في التمسك بالعقيدة الصحيحة والشريعة الحكيمة والروحية العالية والأخلاق السامية والسلوك الرباني المستقيم لــتعود للمسلم ثقته بنفسه واعتزازه بأستاذيته فلا يستعبد لمبادئ الكفر وأخلاق الكافرين حــتى يعيد دوره الحضاري الكامل في هذه الدنيا وبذلك ينقذ البشرية بقوة مبادئه الربانية من الإلحاد والانحراف والانحلال.

خصائص رسائل النور:

كــان بديع الزمان حائراً وكان يفكر في قضية (الموت حق) وأخذ كتاب الشيخ عبد القــادر الكــيلاني وفتحه ووجد أمامه العبارة الآتية (أنت في دار الحكمة فاطلب طبيباً يداويــك) ، وتحــير في هذا الأمر ثم جاءه خاطر من الله تعالى يهتف به (إن بداية هذه الطــرق جمــيعها ومنبع هذه الجداول كلها وشمس هذه الكواكب السيارة إنما هو القرآن الكريم فتوحيد القبلة الحقيقي لا يكون إلا في القرآن الكريم، وقد اعتصمت به واستمدَّت مــنه الأنوار المستقاة، يقصد (رسائل النور) ، فليست المسألة مسألة علمية فقط وإنما هي مسائل قلبية وروحية وأحوال إيمانية، فهي بمثابة علوم إلهية نفسية ومعارف ربانية سامية.

ولذلك فإنه كان يستلهم من الآية الكريمة معانيها وكان يعيش حالات قلبية وروحية خالصة في أجوائها فيملي على المختصين بالكتابة من الطلبة ما يفتح الله به عليه وما يرد على قلبه من معاني الآية الكريمة، ولم يكن لتلك الفتوحات القلبية من وقت معين ولا مكان معين، ولذلك فقد أحاط به طلبته ليل نهار يكتبون ما يفتح الله به عليه، أو أية خاطرة يمليها فيسجلونها، فضلاً عن أنه كتب بعض رسائله بنفسه ولا سيما في داخل السجون.

ومن الملاحظ أن هناك رسائل كتبت في عشر دقائق وأخرى كتبت في ست ساعات، وقال في تقديمه للرسائل أنها تفسير قيم القرآن الكريم، الذي يتصف بعدة صفات:

أولاً: أستاذية القرآن الكريم فهو وحده المرشد للمؤلف دائما.

ثانياً: إبراز القرآن الكريم بصفاته الكامل.

ثالثاً: تجرد المفسر التجرد الكامل.

رابعاً: قدرة القرآن على مخاطبة الطبقات كافةً، ابتداء من العوام وانتهاء بالخواص بأسلوب شائق.

خامساً: الإيجابية في إثبات حقائق الإيمان.

سادساً: مخاطبة جميع لطائف الإنسان؛ العقل والروح والوجدان.

سابعاً: تقويم السلوك، فقد حول مجتمعاً كاملاً إلى مجتمع جديد، وغيَّر سلوك الأفراد تغييراً كاملاً، وطهرهم من الأنانية والضلالة والنفاق.

ثامناً: اتباع السُنَّة الشريفة قولاً وعملاً، فهو الطريق الأقوم للوصول إلى روح المعاني السامية للقرآن الكريم.

تاسعاً: الاستعلاء على الضغوط والصعاب.

وهذه الرسائل تثبت الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم إثباتاً مدعماً بالحجج الرصينة والبراهين القاطعة، وهي تقوم بإثبات الإيمان بإقامة البراهين الساطعة والدلائل الكثيرة، فقد بات كل من يمعن النظر فيها يحكم بأنها أصبحت كالخبز والدواء في هذا العصر.

وهـــذه الرسائل تعتبر كتاب شريعة وعقيدة، وكتاب دعاء وحكمة، وكتاب عبودية ودعـــوة، وكـــتاب ذكـــر وفكر، وكتاب حقيقة وتصوف، وكتاب منطق وعلم كلام، وكتاب حث على العمل وإلجام المعارضين وإسكاتهم.

وهـــي تدور حول معاني التوحيد، وحقيقة الآخرة، وصدق النبوة، وعدالة الشريعة، وغير ذلك.

وكـــان بديع الزمان يستلهم موضوع كل رسالة من عدة آيات تتصدر الرسالة، ثم يـبدأ بمقدمة مُرَكَّزَة تلخص الموضوع، ثم تتدرج في شرح الموضوع وتبسيطه، مع ضرب للأمثال لعرض الفكرة وتجليتها للناس حتى يكون فهمها عليهم ميسراً.

أسلوب الرسائل:

وأســـلوب الرسائل كان يتغير حسب المواقف والموضوعات، فترى الأسلوب الرقيق اللـــين والأسلوب العلمي الدقيق والعبارات المنطقية التي تدعو إلى إعمال الفكر والعقل، ثم إن الرسائل حينما كانت تخاطب الناس المعارضين كانت تقسمهم إلى قسمين:

الأول: الذيـــن يرفضون الحقائق الإيمانية ويحاربونها بشتى الوسائل، وهؤلاء كان يهاجمهم بعـــنف ويدحض أباطيلهم بإيراد الأدلة القوية الكافية، كما أنه كان يُفَنِّد حججهم الواهية إلى جانب تذكيرهم بالآخرة.

الـــثاني: مسلمون إلا أنهم يعترضون على بعض فقرات جاءت منها، أو طريقتها في العمل لخدمـــة الإسلام، وهؤلاء كان يستخدم معهم أسلوب الدفاع دون الهجوم، ودون التهوين من شخصياتهم أو من آرائهم، مع بيان صواب وجهة رسائل النور، وذلك حفاظـــاً على إيمان المؤمنين من التصدع، واجتنابا لما قد يستفيد منه أهل الإلحاد في هذه الخصومة بين طائفتين من أهل الحق يجرح أحدهما بسلاح الآخر واعتراضاته.

ويرى بديع الزمان أن أوروبا تنقسم إلى قسمين:

١- أوروبا النافعة للبشرية بما استفادت من النصرانية الحقة، وأدت خدمات لحياة الإنسان الاجتماعية بما توصلت إليه من صناعات وعلوم تستند إلى العدل والإنصاف.

٢- أوروبـــا التي تعنتت بظلمات الفلسفة الطبيعية، وفسدت بالمادية الواضحة، وحسبت سـيئات الحضــارة حســنات لها، وتوهمت مساوئها فضائل، فساقت البشرية إلى السفاهة، وأوردتها الضلالة والتعاسة.

وكان يوجه خطابه إلى أوروبا حتى تتنبه إلى الحقائق المحيطة بها وتثوب إلى رشدها.

وكان أسلوب الرسائل في رد الشبهات الواردة على الإسلام أو على الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة تكمن في أن الرسائل تردها دون الذكر الصريح للشبهة إلا فيما ندر

وفي دراســـة التاريخ وتفسيره يشعر القارئ ضمنا أنه يقرأ السيرة والتاريخ الإسلامي وفق المنهج القرآني الذي يسلط الأضواء على حوادث دقيقة لاستخلاص العبر العظيمة التي تكتـــنفها ولبيان قدرة الله تعالى وإطلاعه وعلمه بالأمور ما ظهر منها وما خفي ولتوضيح سننه في الكون.

وفي دراســـة الخلافـــات الفكرية تدعو رسائل النور إلى نصب ميزان العدالة الإلهية الـــذي يزن به الله سبحانه وتعالى أعمال المكلفين يوم الحشر وإلى إقامته في الدنيا كذلك عند ذكر الأشخاص والجماعات.

ولأن رسائل النور هي تفسير للقرآن الكريم فإنها أوردت كثيراً من الأمثال حتى يمكن أن يعـــد ضـــرب الأمثال طابعها المميز، ومن هنا كان الإقبال من جميع الناس على قراءتها والاستفادة منها، والذي يستمر في قراءة هذه الرسائل يجد في نفسه نشوة روحية وشفافية، ويكتسب غذاء روحياً وعقلياً لذيذا وسعة في الأفق وخصوبة في الخيال.

كيف تقرأ الرسائـــل؟

يقـــول الشـــيخ بديع الزمان: إن طالب النور بعد أن يستيقن الإيمان ويستمر في قلبه بدراســـته للكـــلمات، ينتقل إلى (المكتوبات) ليغترف أجوبة لأسئلة كثيرة، أو ليعيش في صـــحبة الرســـول ﷺ، ثم ينتقل إلى (اللمعات) ليعيش مع الأنبياء عليهم السلام، وليأخذ حـــذره مـــن الشيطان ومكائده وضلالات العلوم الحديثة حتى يرقى في النهاية إلى تذوق معـــاني الأسماء الحسنى بعد أن أخذ حصته منها في (الكلمات)، أما إذا رأى في نفسه خوفاً

أو تـــردداً أمـــام أهـــل الضلالة وملاحقتهم له فعليه أن يقرأ (الشعاعات) حيث أن فيها التوحيد الخالص وأمور الرجال ودفاع الأستاذ في المحاكم.

فقـــه العمـــل:

وحيـــث أن الأحداث اليومية ومجاهدة النفس والناس تتجدد يومياً فلابد وأن طالب النور يكون في حاجة إلى (فقه العمل) ، لذلك وجه الشيخ بديع الزمان رسائله إلى تلاميذه مـــن السجون والمعتقلات وفي ظروف مختلفة وحثهم على العمل الدائب والشورى فيما بيـــنهم والحـــذر من مكائد أهل الضلالة والشيطان، وكل ذلك وغيره من الأمور الدقيقة يجدهـــا الطالـــب في (الملاحـــق) ، أما الموازين الاجتماعية والسياسية فإن رسالة (الخطبة الشـــامية) تضـــم أسســـها العامـــة وتحتوى الرسائل الأخرى ثقافتها أيضاً، كما تجد في (السنوحات) و (المناظرات) إقامة للموازين الدقيقة التي يتمكن بها تلميذ رسائل النور من وزن الأحداث حسب المفهوم الإيماني فضلاً عما ضمته الملاحق من تلك الأمور، ولا يعنى هـــذا أن الطالب لا ينتقل من مجموعة إلى أخرى إلا بعد مرحلة وإنما يعني أن لكل مجموعة نكهتها الخاصة بها، وتحدثت هذه الرسائل عن السنة النبوية الشريفة شارحة المعجزات.

وفي الفقـــه:

تحدثـــت عـــن الاجتهاد، ووَحَّدَت رسائل النور بين وجهات النظر المختلفة لأصول الدراســـة والتفكير بين المدرستين العقلية الفقهية، والقلبية الصوفية، وأزالت ما بينهما من المناقشات والخلافات الظاهرة.

وفي علم الكلام:

تـــرى أســـلوب العرض القرآني لمسائل وجود الله تعالى والوحدانية والنبوة والآخرة والقضـــاء والقـــدر بشكل واضح يخاطب قلب الإنسان وفكره وعقله وخياله. ويرى أن التصـــوف فاكهـــة، وأن الحقـــائق الإســـلامية خـــبز، وكتب الصوفية تصفي الأذواق والفيوضات لمن ارتقى إلى درجة الأولياء.

وكتب رسائل النور تخاطب كل إنسان، وتريه الحقائق الإيمانية، وتحثه على إنقاذ إيمانه الذي فيه سعادته، وطالب العلم له حجج وبراهين يتمكن عن طريقها أن يغزو العالم، والمريد الصوفي له قناعة ذاتية خاصة وشخصية.

وفي العلوم الكونية:

تحث الرسائل المسلمين على وضع أسس وقواعد للبحث العلمي، وما يجب أن يتحلى به كل باحث، ودفع المسلم وتشويقه إلى التخصص في مادة واحدة دون صرف الجهود إلى عدة علوم.

والرسائل تذكر الأمثلة العلمية، وتخوض في أغلب العلوم المعروفة ملتقطة منها أمثلة واقعية يفهمها القارئ ويستسيغها، حيث أنها تقرب الحقائق التي أتت بها العلوم الحديثة، إلا أنها تعزو سبب الضلالة الناشئة في العلوم الحديثة إلى حصر المنظر في الأسباب الظاهرة دون رؤية يد القدرة الحكيمة التي تهيئ وتسير تلك الأسباب وفق نظام دقيق.

وفي الفلسفة:

نرى الرسائل تشن هجوماً عنيفاً ودائما على تلك الأفكار والكلمات والأسس الفاسدة التي يستند عليها الماديون الطبيعيون، وتسرد الدلائل التي تبين الطريقة التي يشكلها المنكرون من الماديين الطبيعيين بعيدة كل البعد عن المُسَلَّمَات المنطقية والعقلية - إنها محض خرافة.

الخطبة الشامية:

هي الخطبة التي ألقاها في المسجد الأموي بدمشق وفي مقدمة هذه الخطبة قال:

إن في الإيمان نعيماً معنوياً في هذه الدنيا، وإن في الانغماس في مهاوي الضلالة جحيما معنوياً في هذه الدنيا، وإن عصرنا يتميز بطابعين:

الأول: التعامي عن رؤية العاقبة، وترجيح درهم من اللذة الكاملة على كثير من الملذات الآتية بسبب طغيان المظاهر المادية، والسبيل الوحيد لإنقاذ أهل السفاهة من الناس من سفههم هو إظهار الألم المبرح في تلك الملذات الغالبة على حسهم.

الثاني: الضلالة المترتبة على الإلحاد والعلوم الطبيعية، والتمرد المتولد عن الكفر العنادي في الماضي، وسبيل إنقاذهم يكون في محاربة أشد المعاندين تمردا بسيف القرآن، وتنصيب الحجج والأدلة على الوحدانية الإلهية والحقائق الإيمانية.

ولذلك فإن رسائل النور تقوم بتعمير تخريبات عامة كلية، وترمم قلعة محيطة عظيمة، صخورها كالجبال تحتضن الإسلام وتحيط به، وهي تسعى وبيدها إعجاز القرآن لمداومة القلب العام وضمان الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيئت لها وتراكمت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع وبخاصة عوام المؤمنين، نعم إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان، وأمام الإنسان طريقان:

الأول: هو طريق ذو شقاء يريه إياه داعية الضلال.

والثاني: طريق ذو سعادة الذي بينه القرآن الكريم.

وكان الشيخ بديع الزمان النورسي يحب العرب، ويرى أنهم أصحاب الفضل في حمل رسالة الإسلام، ودعاهم إلى أن يعيدوا دورهم في حمل رسالة الإسلام، حتى ينقذوا أنفسهم مما هم فيه من ذل وتيه.

ولذلك فقد كان يرغب في أن تترجم كل رسائل النور إلى اللغة العربية، لتقوم بدورها في إعادة المفاهيم الإسلامية إلى قلوب العرب، وتحملهم على أداء وظيفتهم، وقد اختار أخاه الملا عبد المجيد لذلك العمل فترجم بعض الرسائل، ثم قام الشيخ سعيد البوطي بتعريف العرب بالنورسي في مجلة حضارة الإسلام تحت عنوان:

(سعيد النورسي أعجوبة الثورة الإسلامية في تركيا)، ثم في كتاب **(من الفكر والقلب)**، ثم قام في عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م جماعة من تلاميذ النور بالترجمة والطبع في بيروت لبعض أجزاء رسائل النور، كما قامت مجلة التربية الإسلامية التي تصدر في بغداد بالعراق بنشر مقالات من ترجمات الأستاذ إحسان الصالحي، ثم نشر الأستاذ الصالحي عدداً من رسائل النور، كما أن هذه الرسائل ترجمت إلى اللغة الكردية، وإلى اللغة الإنجليزية، والألمانية، والإيطالية، وغيرها.

مجموعــة اللمعــات

مجموعــة اللمعات من رسائل النور التي تهدف إلى مداواة قلوب الناس جميعا، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع.

اللمعــة الأولى والثانيــة:

تبين كل منهما سرا مهما لآية أيوب عليه السلام، الذي نادى ربه بأن الضر قد مسه وأنــه أرحم الراحمين، فتقبل الله تعالى تلك المناجاة الخالصة له بدون غرض، ويقول: هناك جــروح قلبية باطنة، وجروح وأمراض ظاهرة، ولاحق لإنسان في الشكوى من المصائب والأمــراض لأن الحــياة تتصــفى وتتقوى وترتقي بالمصائب والعلل، والدنيا دار امتحان وليســت مكانا للذة، ثم إن المصيبة الأساسية الضارة هي المصيبة النازلة بالدين ولابد من الاستقامة والالتجاء إلى الله تعالى من مصيبة الدين، ثم إن دقائق عمر الصابرين يصير بمثابة ســاعات العــبادة في حق أهل الصدق والشكر، فتسد باب الشكوى وتفتح باب الشكر دائماً.

اللمعــة الثالثة:

تــبين أن الــباقي هــو الله، والــتوجه إلى الله تعالى يجرد القلب ويقطعه عما سواه، والإنسان الفاني خلق للبقاء وكُلّف بأمور تُثمر ثمرات باقية، ولذلك فإنه يبذل عمره الفاني لعمــره الباقي، وتصير نوائبه بمثابة السنن، وعليه أن يتوجه إلى الباقي بجميع أجهزته وبكل استعداداته، فيذهب في طريق الباقي فالله هو الباقي المطلوب المعبود.

اللمعــة الرابعــة:

تعــبر عن كمال شفقة الرسول وكمال رحمته إزاء أمته، وهو لا يسأل أجرا إزاء أداء وظيفته الرسالية وإنما يسأل المودة لآل البيت فحسب.

ويلاحــظ أن الإفــراط والتفريط في أي شيء غير مقبول، والاستقامة هي الوسط، ولابــد وأن يــزيل أهل السنة والشيعة النــزاع الضاري الذي لا معنى له، وإلا فإن تيار

الـزندقة الذي يحكم الآن بصورة قوية يجعل بعضهم أداة لضرب الآخرين، ولابد من ترك مسـائل جزئـية تفضي إلى الافتراق، وقد كان بينهم مئات روابط قدسية تأمر بالأخوة والاتحاد.

اللمعـة السابعـة:

تـبين ثمانـية أخبار من وحي الأخبار بالغيب، وذلك في الآيات الثلاثة الأخيرة من سـورة الفـتح، وتثبت أن هذه الآيات معجزة باهرة على حدتها وتبين في حقيقتها صفة إعجازية مهمة من آية : ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِـيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾ (النساء:٦٩) ، وتشير إلى أوصاف الصحابة، وإلى أشخاص في طبقات شهيرة من الصحابة مثل أصحاب بدر.

اللمعـة التاسعـة:

عـبارة عن إجابة لبعض أخوة النور عن الروح وعن عيسى عليه السلام الذي يخيل لبعض الناس أن له أباً .

اللمعـة العاشـرة:

تبين صفات الشفقة التي ذاقها أصحابه في الخدمة القرآنية في عاقبة سهوهم وأخطائهم بمقتضـى البشـرية، وتـبين سلسلة من كرامات خدمة القرآن، ونبذة من كرامة الغوث الأعظم الذي يحرس تلك الخدمة القدسية، حتى يثبت الذين دخلوا في هذه الخدمة القدسية في خدمتهم.

اللمعة الحادية عشرة:

تثبـت أن منابع سنة الذات المحمدية هي أقواله وأحواله وأفعاله، وأن كلا منها ينقسم إلى الفرائض والنوافل والعادات، وأن الرسول ﷺ فرد فريد من نوع البشر معنى وروحا، كمـا أنه كذلك في القوة الجسمانية والنفسية وفي وسط نقطة الاعتدال والكمال، وهذه الرسـالة ترياق أنفع وأكبر وأعظم، وإيقاع السنة مهم ولازم، واتباع كل نوع من أنواع السنة بتمامه، وبالعقل إنما يتيسر لأخص الخواص.

اللمعــة الثانيــة عشرة:

هــذه الــلمعة تبين أن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن عموم الأرزاق بيد القدير ذي الجلال، وآيات الإعجاز تبين أن السماوات سبع، والأفكار المادية الملحدة التي هي في حكم الجن والشياطين لا تستطيع أن تطلع إلى تلك الطبقات السبع من سماء القرآن النازل على القراءات السبع والمعجزات السبع والحقائق السبع .

اللمعــة الثالثــة عشرة:

تــتحدث عــن حكمة الاستعاذة بالله تعالى في قول المسلم (أعوذ بالله من الشيطان الرجــيم) ، وتفســر حقيقة أهم من سورة (قل أعوذ برب الناس) إلى آخرها، وتبين حكمــة غلــبة حزب الشيطان على حزب الله مرات كثيرة مع أنه لا دخل للشياطين في الكائــنات أصلاً في جهة الإيجاد، وكيف تسمح رحمة الرحيم بإيجاد الشياطين وتسليطهم عــلى المؤمــنين ودخول كثيرين في الكفر وفي جهنم، والورع الواقي من ذلك في التقوى المصــنوعة في مصنع القرآن والسلاح يكون في الالتجاء إلى الاستعاذة والاستغفار والحفظ الإلهــي، وأن أهــم أسلحة المؤمنين وأجهزتهم التعميرية إزاء التدميرات الرهيبة للشياطين يكون بالاستغفار والالتجاء إلى الله تعالى بقول المسلم (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ، وأن الحصن هو السنة النبوية.

ويجيــب الشــيخ ســعيد عن سر انهزام أهل الإيمان مع ما لديهم من أسباب الهداية والاستقامة أمام دسائس الشيطان الضعيفة، ويبين أن أخطر دسيسة شيطانية هي أنه يلبس تخــيل الكفــر بتصديق الكفر، وملجأ المؤمن يكون بالحقائق الإيمانية والاستعاذة بالله من الشــيطان الرجيم، ويبين أن من دسائس شيطان الإنس والجن أن يجعل مذهب أهل الحق وهــم أهــل السنة والجماعة مقراً، ويبين سبب انهزام حزب الله أمام حرب الشيطان مع مظهريــتهم لذلك القدر من العناية الإلهية، وعن حكمة إصرار المنافقين في الضلالة وعدم هدايــتهم وهم في جوار نبوته ورسالته المشرفة، وعن أسلوب إبليس في أنه ينكر نفسه لمن يتبعونه، والدليل القاطع على وجود الشيطان الجني هو وجود الشيطان الإنسي، ثم يبين سر

أن جهنم جزاء العمل وأن الجنة فضل إلهي، وباحتساب الله تعالى السيئة بسيئة مثلها والحسنة بعشر أمثالها أو بألف، فإن الله تعالى يظهر بذلك الوجه (كمال رحمته) ، وأن السر الخفي الذي يفحم دسيسة الشيطان هو (الله أكبر) .

والشيطان لا يترك الإنسان ليعترف بقصوره أمام الله تعالى، وذلك ليسد أمامه باب الاستعاذة والعودة إلى الله تعالى، ولذلك فإن دسيسة الشيطان تفسد الفرد وتفسد المجتمع أيضاً.

وعلى المسلم أن يزن أعماله وخواطره بميزان محكمات القرآن، وأن يجعل القرآن والسنة له دليلاً، فبذلك تسلم حياته الدينية والشخصية والاجتماعية.

اللمعة الرابعة عشرة:

يبين في هذه اللمعة ستة أسرار من أسرار (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ويطالب المسلم بالتمسك بتلك الحقيقة وتخلصه من الوحشة المطلقة ومن آلام الحاجات التي لا خير فيها، وأن يعلم أن الوصول إلى عرش رحمة الله تعالى يكمن في (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ووسيلة الوصول إلى هذه الرحمة المجسمة إنما هي الصلوات، وعلى المسلم أن يجعلها الوسيلة للوصول إلى رحمة رب العالمين.

اللمعة السادسة عشرة:

هذه اللمعة تبين أن كثيرين من الرؤساء سكارى لا يقرؤون النور، وإذا قرؤوه لا يفهمونه أو يؤولونه تأويلاً خاطئاً ولذلك يعترضون عليه، كما أنه يجيب عن أسئلة طرحت عن سد ذي القرنين ويأجوج ومأجوج.

اللمعة السابعة عشرة:

تتحدث هذه اللمعة عن قطع علاقة القلب بالأشياء الفانية التي تفارق الإنسان، وفي أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن حقيقة الموت وإعادة الإنسان في يوم الحشر الأكبر ببيان قانون مطرد من عادات الله في إعادة الأشياء القيمة بعينها في الفصول والعصور، وتكشف الغطاء عن وجه المدنية السقيم، وتحذر المتحمسين الذين يجبرون المسلمين على تقليد الأجانب، وعلى انفصام أواصرهم بالدين وصيرورتهم سموماً في

المجتمع، وتفسر سراً من آية ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف:٥٦) وأمثالها، وتبين أن الخير والكمال مع الأنبياء، والشر والضلال مع المخالفين لهم.

اللمعة التاسعة عشرة:

تتحدث هذه اللمعة عن الاقتصاد والقناعة والإسراف والتبذير، فالإسراف ضد الشكر واستخفاف بالنعمة، والاقتصاد احترام لها، والمقتصد لا يعاني محنة العيال وتكلفة العيش كثيراً، ولذة الفقير من أكل خبز يابس تفوق لذة السلطان من أعلى الحلويات، وقال: إن الاقتصاد من الأخلاق النبوية ومن نظام الحكمة الإلهية، وقال: إن الإسراف ينتج عدم القناعة وذلك سبب الخسران، والحرص يهدم الإخلاص، ويخل بالعمل الأخروي، ويفتح باب الرياء، والاقتصاد ينتج القناعة، والقناعة تنتج العزة.

اللمعة العشرون:

يتحدث الشيخ بديع الزمان في هذه اللمعة عن أهمية الإخلاص في الإسلام، ويبين سبعة أسباب لاختلاف أهل الحق والهداية، وتزاحم أهل الحق في وظائفهم الناظرة إلى جميع الناس وفي أجورهم المادية والمعنوية المشتركة، وقال: إن علاج ذلك يكون في الإخلاص، ويقول: إن العزة المعنوية الناشئة عن مسلك أهل الهداية يكون بالاستناد إلى الحق والحقيقة، والاعتماد على توفيق ربهم، والوسيلة للخلاص من نتائجه الوخيمة، وسوء استعمال علو الهمة الموجب للاختلاف والحسد يكون علاجه في معرفة أن رضاء الله تعالى يحصل بالإخلاص، ويتحدث عن عدم الاستقامة والإخلاص لاتّباع الناس ميولات القلب والعقل لا لحسيات النفس، وعلاج ذلك يكون بالإخلاص والمتابعة لأهل الحق وترك شرف القدوة لهم، ويتحدث عن انقسام الناس ودعوتهم إلى ترك المنازعات الداخلية، والتأدب بالأدب القرآني، والمحافظة على علو الهمة لا إساءة استعماله، والوسيلة لمنع هذا المرض يكون باتهام النفس والتزام أهل هذا المسلك واتباع أهل الحق والإنصاف.

اللمعة الحادية والعشرون:

يتحدث الشيخ بديع الزمان في هذه اللمعة أيضا عن الإخلاص، فيقول: إن ذلك يتطلب العمل على رضاء الله تعالى، وجعله أمام المقاصد، وترك الانتقاد على الإخوان في

خدمة القرآن، واجتناب التفاخر عليهم، ومعرفة أن القوة كلها تكون في الحق والأخلاق، ثم إن تحصـــين الإخلاص وحفظه هو رابطة الموت وتصور فناء الدنيا، ثم إن تكسب نوع مـــن الحضـــارة يكون بالإيمان الحقيقي وباللمعات الواردة عن التفكير الإيماني، أما موانع الإخـــلاص فإنها تكون في حب الجاه وتكبر النفس الأمارة بالسوء، وتحصيل توجيه العامة والتحاسد في جهة المنفعة المادية والخوف والطمع.

اللمعـــة الثانية والعشرون:

هـــذه اللمعة تجيب عن أسئلة وجهت إلى الشيخ بديع الزمان، مثل: لماذا يتدخل أهل الدنـــيا في أمـــور الآخرة في كل فرصة - مع أنه لم تخالط دنياهم ؟ ، ولماذا تُفْرَض قوانين الجمهوريـــة تحـــت غطـــاء العزلة ؟ ، ولماذا لم يحترم أهل المعارف رجلاً من أهل المعرفة (يقصد نفسه) ؟ .

اللمعـــة الثالثة والعشرون:

تـــتحدث هـــذه اللمعة عن الطبيعة وعن مذهب الطبيعيين، وأن حل هذه المشكلات يكون بالانتساب إلى الله تعالى، كما تتحدث عن حكم تارك الصلاة وتهديد القرآن الكريم له.

اللمعـــة الرابعة والعشرون:

تـــتحدث هذه اللمعة عن الحجاب، ويقول (إن فطرة النساء /ما لم تتفحش/ تقتضي الحجـــاب والتســـتر لضعفها واحتياجها إلى زوجها وتحببها له بدون تهمة ليحفظها ومن تحبهم من أولادها، وفي أن العلاقة بين الزوجين لا تعود إلى الحياة الدنيا فقط بل إنها تدوم في الآخـــرة أيضاً، وذلك يقتضي الحجاب لتحصر محاسنها على رفيقها الأبدي بلا خيانة، ويقول إن سعادة الأسرة تقوم على الحب الخالص والاحترام والأمن المتقابل بين الزوجين، بيـــنما العـــرى والتـــبرج ينتقص ذلك الحب والاحترام ويُفسد الأمن بينهما، ثم إن كثرة التناســـل مطلوبة لدى كل ملة وكل حكومة، ورفع الحجاب يقلل الزَّواج، لأن أي شاب سفيه لا يحب أن تكون رفيقته عارية غير عفيفة، وأشد الفتن في آخر الزمان تكون بسب النساء، ثم تبين هذه اللمعة بطولة النساء في الشفقة والفداء ولا سيما لأولادهن، ويقول في هـــذه اللمعة: إن بعض الجمعيات فيها مفسدة لأنها تعمل /تحت الغطاء/ لإضلال الطائفة

العاقلة من النساء، وأن الوسيلة لإنقاذ سعادة دنياهن وآخرهن تكون في التربية الإسلامية، ثم إن اللـــذة الحقيقية إنما تكون في دائرة الإيمان، وإن في الإيمان نواة الجنة وفي الضلال نواة جهنم.

اللمعـــة الخامسة والعشرون:

تحدث الشيخ بديع الزمان في هذه اللمعة عن بعض الأمراض وطرق علاجها، وقال: إن عـــلاج المـــرض اليائس يكون في الصبر والشكر، وعلاج الضجر يكون في تصور فناء الدنـــيا وزوالهـــا والاســـتعداد للقبر وما بعده، وعلاج المريض المشتكي يكون في الصبر والشكر، فالمرض إحسان إلهي لبعض الناس في هذا العصر لأنه يوقظه من الغفلة، ولابد من ترك حب الدنيا قبل أن تطرد الإنسان عنها، والمرض يغسل الذنوب وينظفها لأن الذنوب أمراض دائمة في الحياة الأبدية.

والمـــوت لأهل الإيمان تسريح عن كلفة الحياة ووصول إلى الأحباب الذين ارتحلوا إلى عـــالم الآخرة، والمرض يورث لذة روحية في ثوابه، ولذة معنوية في زواله، والمؤمن التقي يفوز بثواب أوراده ونوافله التي يتركها بسبب المرض.

والمرض هدية إلهية لبعض الناس ولذلك أعطاه للأنبياء ومنهم أيوب عليه السلام، فهو يلقـــن الإنسان الرحمة والاحترام، ويفتح باب الخيرات ويكون أهم وسيلة لقبول الدعوات ويحصـــل الثواب للمريض، وعلى المريض أن ينظر إلى من فوقه في المصيبة حتى يشكر الله تعالى.

والمـــرض قسمان: مرض حقيقي له دواء لأن الله تعالى خلق لكل داء دواء، ومرض وهمي وعلاجه المؤثر يكون في عدم الاهتمام به.

والمرض له لذة معنوية تنشأ عن شفقة أقربائه وأصدقائه وتزيل تأثير ذلك الألم المادي، والمرضى عليهم أن يزيدوا في الاستغفار والتوبة والصلاة والعبادة.

اللمعـــة السادسة والعشرون:

تتحدث هذه اللمعة عن الشيب الذي يحس الإنسان بوجوده، وأن ذلك دليل على أنه يمشي إلى القبر، وأن جسمه ينهدم بسقوط حجر منه كل يوم، وأن صحة البدن التي تدم

الغفلة احتلت في زمن، وأنه أصبح متوحشاً عن الناس يقيم وحده مثل الصنوبر في مصيف بارلا، وأن أهل الدنيا ظنوه سعيدا القديم فدعوه إليها في بداية شيبته فانقلب ضحك سعيد القديم ببكاء سعيد الجديد، وعلى المؤمن ألا يشتكي من شيب معه إيمان بل يشكر الله عليه آلاف الشكر.

كمـــا تـــتحدث هـــذه اللمعة عن إدراك العناية الإلهية إلى إمداد مؤلف رسالة النور وطلبـــتها بانكشاف خدمة الإيمان والقرآن في داخل السجن وخارجه وفي الدوائر الرسمية واتساع دائرة النور وسائر أبواب الرخاء.

اللمعـــة الثامنة والعشرون:

في هـــذه الـــلمعة بعـــض فقرات لتسلية تلاميذه وذلك حينما كان في سجن مدينة (اسكيتشر) تمت محاورة عن الذباب وبيان أنه ليس ناقلاً للجراثيم، بل إنه جهاز لاستحالة أنواع السموم والمواد الضارة، و لم تكشف الحكمة البشرية عن سرها بعد.

وفي هـــذه الـــلمعة تفسير لبعض آيات القرآن الكريم لتسلية طلبة رسائل النور الذين كـــانوا في السجن، ودستور في بيان أهمية الانتساب إلى رسائل النور، وأنها تبين مشرب الصـــحابة رضوان الله عليهم، وفيها دفاع عن رسائل النور وتلاميذها، وجزء من دفاعاته أمام المحكمة، وبيان لزوم التفاهم بين الحكومة والعلماء، وبعض فقرات يخاطب بها إخوانه المسجونين إرشاداً وتسلية لهم، وبيان وجود المكافأة العاجلة في الأخلاق الحميدة، والمجازاة العاجلة في الأخلاق السيئة، وجواب عن سؤال عن رجم الشياطين، والرد على انتقاد أهل الضـــلال، وبـــيان أهمية الوحي القرآني والنبوة المحمدية، وحراسة طريق الوحي من العرش الأعظم إلى القلب المحمدي.

اللمعـــة التاسعة والعشرون:

تـــتحدث هـــذه الـــلمعة عن تفكر عال للإيمان، ومعرفة سامية في التوحيد وفي بيان مظاهر حقائق مبسوطة وأنوار عظيمة لعقل المؤلف وقلبه في مسلك الفكر وفي تسبيح كل المخلوقـــات من إنس وجن وملائكة وسماوات، وفي الحمد لله على نعمة الإيمان المزيل عنّا الظلمات، والمنَوِّر لنا الجهاد، والمزيل للآلام عن اللذائذ المشروعة، وعلى نور الإيمان الذي

يصور ما يتوهم أعداء وأجانب وأموات إخوان وأحباء، وعلى نور الإيمان المصور للدارين، وتحدثت هذه اللمعة عن مراتب الله أكبر، فهو الذي صنع الإنسان بقدرته كالكائنات بقلم قدرة الإنسان، كما تحدثت عن الشهادتين، ودلالة أوصاف النبي ﷺ على وجوب وجوده ووحدته سبحانه وتعالى، وفي مراتب حسبنا الله ونعم الوكيل.

اللمعة الثلاثون:

هذه اللمعة من ثمرات سجن (اسكيتشهر) وتثبت وجود الواجب ووحدته بحقيقته فعل التنظيف العام لجميع الموجودات، وتثبت وجوده ووحدته بالميزان الأكمل العام لجميع الموجودات، وفي بيان قاعدة مهمة للجمال والكمال وهي أنهما يستلزمان تشهيرهما وشهودهما وإشهادهما، وأن الانتظام في كل شيء في نهاية الدرجة لا يقبل الاشتراك في ملكه تعالى، وأن الحمية الجارية في جميع الموجودات تدل على وجود الآخرة التي هي الحكمة الأصلية.

الخطبة الشامية

في شتاء عام ١٣٢٧هـ/١٩١١م سافر إلى الشام وكانت أخته هناك، وألقى خطبة باللغة العربية قال فيها: **إن عصرنا يتميز بطابعين عجيبين:**

الأول: التعامي عن رؤية العاقبة وترجيح درهم من اللذة الماثلة على قنطار من اللذة الآتية، بسبب طغيان المحسوسات على عقل الإنسان وفكره.

الثاني: الضلال المترتب على الإلحاد والعلوم الطبيعية، والتمرد المتولد عن الكفر العنادي في الماضي.

وكان يرى أن العرب هم أساتذة المسلمين على امتداد الزمان والمكان ، ولذلك طالبهم بأن يأخذوا دورهم في إعادة مجد الإسلام ، ولذلك ألقى العلامة سعيد النورسي خطبته على منبر الجامع الأموي بدمشق ، وكان في الخامسة الثلاثين من عمره.

هـــذه الخطبة التي طبعت مرتين خلال أسبوع واحد، وقال مخاطبا العرب مؤملا فيهم الآمـــال الكبيرة مبينا أمراض المجتمع الإسلامي، قال: هناك ستة أمراض قاتلة جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى نتيه في مسالكها المظلمة ، في الوقت الذي سار فيه الأجانب، وبخاصـــة الأوربـــيين، بخطى سريعة نحو المستقبل وهم يتسابقون في ميادين الرقي والتقدم العلمي وهذه الأمراض هي:

أولا: اليأس والقنوط الذي مازال يجد أسباب الحياة في نفوسنا .

ثانيا: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية .

ثالثا: حب العداوة .

رابعا: تجاهل الرابطة الروحية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض .

خامسا: ذيوع الاستبداد وذيوع الأمراض المعدية المختلفة .

سادسا: حصر الهمة في المنفعة الشخصية دون الالتفات إلى النفع العام .

وقال: إن العلاج يكون من صيدلية القرآن الكريم على النحو الآتي:

الـــثقة في الرحمة الإلهية والاعتماد عليها إلى أقصى حد، لأن الإسلام يحمل في طياته اســـتعدادا تاما للرقي والتقدم معنى ومادة، والتاريخ يشهد على أن السر في قوة المسلمين ورقـــيهم وتقدمهـــم يكمن في تمسكهم بدينهم، ولو أننا طبقنا الإسلام وأظهرنا كمالات أخلاقـــه وحقائقـــه الإيمانية في سلوكنا وأفعالنا لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعـــات وأفرادا، بل ولربما اعتنق الإسلام بعض قادة ودول العالم بأسره، وما لم يوجد صـــوت القلـــب جوهر الدين الحق وروحه فسوف تقوم قيامة مادية ومعنوية على رأس البشرية.

ترى لماذا لم تستول حقائق الإسلام الساطعة على قطعة الزمان الماضي ؟

والجـــواب يكمن في جهل الأجانب وتوحشهم وبعدهم عن التمدن وبغضهم لدينهم آنذاك ، وقد بدأت هذه الأسباب تزول بفضل التقدم العلمي ومحاسن التمدن.

وقـــال: إن مـــن الأمراض رئاسة القسيسين والزعماء الروحانيين وتحكمهم في أفكار وأذهان الناس وتقليد الأجانب لأولئك القسيسين والزعماء الروحانيين تقليد ا أعمى، وقد

أخـــذ هـــذان المانعان أيضا في الزوال بعد انتشار الحرية الفكرية وميل النوع البشري إلى تحري الحقائق .

ومن الأسباب تفشي روح الاستبداد فينا وانتشار الأخلاق الذميمة المترتبة على مخالفة الشـــريعة الغـــراء بينـــنا – وهذان المانعان قد لا يكون من السهل إزالتهما – ولكن رفع الاســـتبداد الفـــردي مـــرهون برفع الاستبداد الجماعي، كما أن فوران الحمية الإسلامية والوقـــوف عـــلى النتائج المخزية للأخلاق الذميمة كفيلان برفع هذا المانع، وقال: إن من الأســـباب أيضـــا توهم وجود نوع من التناقض بين حقائق الإسلام وبين ما توصلت إليه العلوم الحديثة من نتائج.

وقد بدأت روح تحري الحقائق والإنصاف والمحبة الإنسانية تعمل على محاربة طوائف الأعـــداء – والفضـــل ما شهدت به الأعداء – ومن ذلك قول (بسمارك) الذي يعتبر من أشهر رجال الفكر في تاريخ أوربا:

(لقـــد درســـت الكتب السماوية بدقة وشمول، ونظرا لتحريفها فإنني لم أجد فيها الحكمة الحقيقة التي تكفل سعادة البشرية بَيْد أني وجدت قرآن محمد يعلو سائر الكتب).

وهـــناك خمس قوى اجتمعت وامتزجت في قلب الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي، وهذه القوى فيها من القوة ما يجعلها لا تغلب ولا تقهر:

القـــوة الأولى : الحقـــيقة الإسلامية التي تجعل المسلمين جميعا كنفس واحدة، وهي مجهزة بالتمدن الحقيقي والعلوم والفنون الصحيحة.

القـــوة الثانـــية: تكمـــن في الحاجة الملحة للتمدن والصناعات ووجود الفقر الذي كسر ظهورنا.

القـــوة الثالـــثة: تكمن في الحرية الشرعية المعلمة للبشرية طرق التسابق نحو المعالي الممزقة للاستبداد والمظالم.

القوة الرابعة: الشهامة الإيمانية المقترنة بالشفقة، وذلك يستلزم عدم المداهنة أمام المستبدين وعدم التحكم في المساكين أو التكبر عليهم .

القوة الخامسة: تكمن في عزة الإسلام بإعلاء كلمة الله تعالى وذلك يستلزم التقدم المادي والتمدن الحقيقي وذلك يحقق الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي.

وحضارة أوربا لم تتأسس على الفضيلة والهدى ولذلك تغلبت سيئات هذه الحضارة على حسناتها، وقد ثبت بالبحث والاستقراء وتجارب العلوم المتكررة أن الخير والجمال والكمال هو القالب المطلق في نظام الكائنات، وأن الشر والقبح والباطل في خلقة الكائنات جزئي وتبعي وثانوي، وأن أكرم المخلوقات وأشرفها هو الإنسان الذي يستطيع أن يكشف بعقله عن الأسباب الظاهرية في الكائنات ويعرف ما بين الأسباب والنتائج من توافق، وأن أشرف وأفضل أهل الحق الذين أكرمهم الله تعالى هم المسلمون، وأن محمدا ﷺ هو أشرف الخلائق .

اليأس:

واليأس داء قاتل وقد وجدت أسباب الحياة في قلب العالم الإسلامي، وإني لعظيم الأمل في رحمة الله تعالى، وفي أن العرب سيتخلون عن اليأس ويمدون يد العون والتآزر والوفاق الحقيقي إلى جيش الإسلام الباسل.

والصدق أساس من أسس الإسلام وواسطة العقد في سجاياه الدقيقة، فعلينا أن نحيى الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية، ونداوي به أمراضنا الروحية.

والرياء نوع من الكذب العقلي، والمداهنة كذب مرذول، والنفاق كذبة ضارة، والمحبة أجدر الأمور بالمحبة وأجدر الأشياء بالخصومة، وقد أثبتت الحربان العالميتان ما في روح العداوة من ظلم وتخريب وفساد، وإن غرور الإنسان وأنانيته قد يقودانه إلى اتخاذ موقف المعاداة تجاه إخوانه المؤمنين بدون شعور ويظن الإنسان نفسه محقا، والدرس الذي تعلمته من الشورى الشرعية هو أن سيئة الرجل الواحد منا في هذا الزمان لا تَبْقَى سيئة واحدة وإنما تكبر وتتضاعف أحيانا حتى تصبح مائه سيئة، كما أن الحسنة تكبر وتتضاعف حتى تبلغ الآلاف أحيانا.

إن الحرية الشرعية والشورى المشروعة قد أثبتتا سيادة الأمة الإسلامية، ولقد كنتم أيها العرب أساتذة جميع الشعوب الإسلامية وأئمتها على مر العصور، أنتم الذين رفعتم

عـــلم الجهاد عاليا خفاقا، ثم سار على دربكم الشعب التركي العظيم موقنا بتلك الوظيفة المقدسة، ومقتحما لما بدأتم، لذا فإن ذنبكم بالتكاسل كبير، كما أننا عرفناكم وحسناتكم جلـــيلة وســـامية بنفس الدرجة، وبخاصة ونحن نأمل أن تتحد الشعوب العربية، وحينئذ ينقذون السياسة الإسلامية المأثورة .

إن الأجانـــب كما استولوا على أموالنا وأوطاننا العزيزة نظير ثمن بخس فاسد، فإنهم كذلـــك ســـرقوا جزءا كبيرا مما هو مدار فخرنا واعتزازنا من سجايانا الحميدة وأخلاقنا الســـامية، وجعلوها منطلقا لرقيهم وتقدمهم، ودفعوا لنا نظير ذلك رذائل طباعهم وسفائه أخلاقهم.

إن مفـــتاح ســـعادة المجتمع الإسلامي والمسلمين بوجه عام (الشورى) ، ولقد أمرنا القرآن الكريم باتخاذ الشورى في جميع أمورنا، يقول الله تعالى ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** ﴾ (الشورى:٣٨) .

وإن الحرية الشرعية النابعة عن الإيمان تقوم على أساسين:

١- أن لا يذل المسلم ولا يتذلل لأنه عبد لله فلا يكون عبدا للعباد .

٢- أن لا يكون بعض الناس أربابا لبعضهم من دون الله .

من كليات رسائل النور

الآية الكبرى:

يـــرى الشيخ بديع الزمان النورسي أن ضياء القلب هو العلوم الدينية، وأن نور العقل هـــو العلوم الكونية الحديثة، وباندماجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الشبهات في هذا والتعصب الذميم في ذاك .

وفي رســـالة الآية الكبرى شرح الشيخ بديع الزمان أصول العقيدة الإسلامية بأدلتها العقلـــية والعلمـــية، وقـــدم من خلالها مذهبية الإسلام الشاملة في الكون والحياة والمجتمع والإنســـان بدقائقها وبمقدماتها وبنتائجها، معالجا المشكلات الخطيرة التي أثيرت في عصره أمام الإسلام، والتي نسجت خيوطها العنكبوتية الواهية دوائر الاستشراق ومراكز التبشير، مبيـــنا إعجاز القرآن الكريم، وصدق النبوة، وحكمة التشريع، وإنسانية الإسلام، وعظمة مبادئه الروحية والأخلاقية.

ورســـالة الآية الكبرى تعرض الحقائق عن الذات الإلهية، والأسرار الربانية، وتجليات أسمائـــه الحســـنى في الوجود، من خلال سياحة عقلية وروحية شاملة للتعرف على أسرار الكون، ودقائق الحياة، وتذوق جمال الوجود، ونظامه الرائع، وفائدته في مجموعة رائعة.

عـــلم التوحيد في صورة جديدة: يبدأ الشيخ بديع الزمان رسالة الآية الكبرى برسم خطوط منهج منطقي في غاية القوة والرصانة والوضوح، يمثل خطة هجومه الكاسح على أفكـــار المـــاديين، بتفنيد موقفهم وتسفيه عقولهم وفساد منطقهم في نفي حقيقة الوجود الإلهي الحق من خلال قانون فطري واضح.

ويـــتقدم الشيخ في هدوء ذكي ليأخذ بيد طالب الحقيقة في جولة رائعة، كي يفتح له فيها مغاليق عقله وقلبه، ويوقفه أمام لوحة الوجود الأخاذ ومظاهرها البديعة وبادئا رحلته الكونـــية من عجائب الآفاق العلوية إلى مدهشات الكائنات السفلية سابرا غورها واصفا اتســـاقها ولوحاتها الفنية الرائعة، التي تأخذ بالألباب، وتضرب على أوتار القلوب، فتوقظ الغـــافل وتـــنير بصـــيرة الذاهل، وكل ذلك بأسلوب خصب بعيد عن قيود المصطلحات

الكلامية، وجمود المقدمات الفلسفية، التي تزيد في الحيرة دون أن تنقذ في عصرنا هذا عقيدة، أو تبني إيمانا، أو تدخل إشراق الروحانية الإسلامية المتزنة في كيان المسلم.

وبذلك استطاع أن يبعد علم الكلام من مجرد مناقشات وعرض أدلة بلغة جافة إلى شريان دقيق في كيان المسلم ينبض بالحركة والحياة، وحوله إلى تيار اجتماعي عارم في العقيدة والسلوك.

وبذلك استطاع علم التوحيد على يد النورسي أن يحدث تغييرا شاملا في سلوك الأفراد والجماعات، وانقلب إلى قوانين حركة التغيير الفكري والاجتماعي وإلى الإيمان والأصالة واستقلال الذات في حياة المجتمع.

يقول الشيخ بديع الزمان موضحا الذي يعين المسلم على فهم رسالته:

هذه الرسالة على عظم أهميتها لا يفهم كل شخص كل مسألة من مسائلها، لأن هناك خمسة أسباب تُعِيْق فهم هذه الرسالة :

أولها: أني كتبت مشاهداتي لما تراءت لي وفق فهمي، كتبتها لنفسي، فهي لم تكتب بمستوى فهم الآخرين.

ثانيها: أن التوحيد الحقيقي كتب في صورته العظمى بفيض تجلي (الاسم الأعظم) ، فأصبحت مسائله واسعة جدا وعميقة جدا، لذلك فإن بعض الأشخاص لا يستطيع أن يحيط بها مباشرة لأول وهلة.

ثالثها: أن كل مسألة من مسائلها حقيقة كبرى طويلة /وحفاظا على وحدة الحقيقة/ قد تصبح الصحيفة الواحدة جملة واحدة مطولة، فهناك مقدمات كثيرة تورد بمثابة دليل واحد.

رابعها: أن كل مسألة لها أدلتها الخاصة الكثيرة، فعند القيام بضم عشرين دليلا أحيانا لسوقها برهانا واحدا تكون المسألة طويلة لا تسعها المدارك القصيرة.

خامسها: لقد تعرضت لأنوار هذه الرسالة بفيوضات رمضان المبارك، إلا أنها كتبت على عجل لِمَا كنت أعانيه من الأسقام ومتاعب المضايقات من مختلف الجهات، فلم أر من اللائق أن أمسَّها بشيء من التنظيم أو التهذيب حسب تفكيري، لذا أخذت

الرســـالة هذا الشكل الذي يستشكل على الفهم، فضلا عما درجت فيها فقرات المقام الأول الذي كتب باللغة العربية .

وظيفة الإنسان :

يقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)

يفهم من الآية الجليلة أن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه معرفة خالق الكـــون سبحانه وتعالى، والإيمان به، والقيام بعبادته، كما أن وظيفته فطرية وفريضة ومنه معرفة الله تعالى والإيمان والتصديق بوجوده وبوحدانيته إذعانا ويقينا.

إن الإنسان الذي ينشد فطرة الحياة الدائمة الخالدة، والعيش الأبدي الرغيد، والذي له آمـــال بلا حدود، وآلام بلا نهاية، لابد وأن تكون جميع الأشياء والكمالات هابطة تافهة بالنســـبة لـــه، بـــل ليس لأكثرها قيمة تذكر، ماعدا الإيمان بالله تعالى ومعرفته، وما عدا الوسائل التي تأخذ بيده إلى ذلك الإيمان الذي هو أساس تلك الحياة الأبدية، وانطلاقا من هـــذه الحقـــيقة فـــلا قيمة ولا أهمية للكثرة الظاهرة للكفار والمنكرين الذين يصدون عن الإيمـــان، ولا ينـــبغي أن يـــتأثر يقين المؤمن ولا يشوب إيمانه بأي نوع من أنواع الشك والـــتردد، ومع ذلك فإننا نرى ما يثيره فلاسفة أوربا من شبهات وجحود في هذا العصر، فدخلـــت الحـــيرة إلى بعض المنكوبين المفتونين بهم، فأزال يقينهم وأباد سعادتهم الأبدية، وأوقعهـــم في شقاء ذلك، لأن إنكارهم هذا حول معنى الموت الذي يصيب يوميا ثلاثين ألفـــاً من الناس، من معناه الحقيقي الذي هو إنهاء وظيفة الإنسان على الأرض إلى صورة الإعـــدام الأبـــدي والفناء النهائي والنهاية المرعبة المخيفة، ألا ما أعظم الإيمان وما أعظم نعمته – وأفهم كيف أنه (حياة للحياة) .

ثانـــيا: لا يؤخـــذ بكلام من هم خارج إطار علم أو صنعة في مسألة من مسائلهما دارت حولهـــا المناقشة، حتى ولو كانوا عظماء وعلماء وصناعا مهرة، ولا يدخلون ضمن إجماع علماء ذلك الضرب من العلم .

إن ماهـــية الكفر الذي يظهر العداء للحقائق الإسلامية إنما هو إنكار وجهل، حتى لو بدت ظاهريا إثباتا ووجودا، إلا أن معناها عدم ونفي، أما الإيمان فهو علم ووجود وإقرار وإثبات وحكم.

والاعتقاد بالكفر قسمان:

أولهمـــا: ما ليس له علاقة بالحقائق الإسلامية، فهو تصديق خطأ، واعتقاد باطل، وحكم ظالم خاص به، وهذا القسم خارج إطار بحثنا.

ثانيهما: ما يبارز الحقائق الإيمانية ويعارضها، وهو إما رفض وعدم قبول وليس هذا الكفر إلا جهـــلا، أو قـــبول للعدم وتصديق قلبي للعدم، فهذا القسم من الكفر هو حكم وهو اعتقاد يفضي بصاحبه إلى الالتزام فيضطر إلى إثبات نفيه وإنكاره.

ثم إن العقـــول التي ضاقت أمام العظمة والكبرياء، وقصرت عن إدراكها نتيجة الغفلة أو المعصـــية أو الانغماس في الماديات والانسياق وراءها، قد اتّخذت هذه العقول تتجه إلى الإنكار، وتتقي بغرور المسائل الهائلة العظمى لعجزها عن الإحاطة بها.

براهين الوجود:

يقـــول الله تعـــالى ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾ (الإسراء: ٤٤) .

إن كـــثيرا من الآيات تذكر في تعريفها لخالق هذا الكون السماوات التي هي أسطع صـــحيفة للتوحـــيد، ما يتأمل فيها متأمل إلا وتغمره الحيرة ويغشاه الإعجاب، فيستمتع بمطالعتها بكل ذوق ولذة، فالأولى أن يستهل بها، وإذا بوجه السماء المتلألئ بالنجوم النيرة يطـــل علـــيه مناديا (أنظر إليّ فأنا أُعَرِّفك بالذي تبحث عنه) ، فينظر السائح ويرى أن ربوبيـــته ظاهرة تتجلى في رفعها مئات الألوف من الأجرام السماوية بلا عمد ولا سند، وفي إيقادهـــا تلك القناديل المتدلية بدون زيت يغذيها وبدون انطفاء لها، والسحاب المعلق بين السماء والأرض يسقي روضة الأرض سقيا يتفجر حكمة ورحمة، وإلى الرياح والمطر والـــبرق والرعد، وهكذا يسمع ذلك السائح الولوع شهادة سامية جلية لحقيقة مركبة من تســـخير السحاب وتصريف الرياح وإنزال الغيث وتدبير الظواهر الجوية، فيقول (آمنت

بـــالله) ، وينظر السائح إلى البحار التي تتماوج بحيوية وتتلاطم بشدة، وإلى جوف البحر الذي تعيش فيه آلاف الحيوانات المتنوعة وإدارتها وما فهيا من منافع للناس، فيرى السائح أنها جميلة وأنها جميعا تردد (لا إله إلا الله) ، وينظر إلى الجبال والصحارى وعالم الأشجار فيرى

- حقيقة الإنعام والإكرام المقصودين التي يحس معناها في كل نبات وشجر.
- حقيقة التميز والتصديق المقصودين بحكمة، والتزيين والتصوير الإراديين برحمة.
- حقيقة فتح صور المصنوعات غير المحدود فيقول (الحمد لله على نعمة الإيمان) .

وينظر السائح إلى عالم الطيور والحيوانات يدعوه إلى الدخول إلى ذلك العالم الفسيح وترحب بمقدمه إلى عالمه، فدخله ورأى أن جميع الطيور والحيوانات بأنواعها تذكر منفعة لا إلـــه إلا هـــو بلسان حالها ولسان مقالها، حتى كأن سطح الأرض مجلس ذكر مهيب، ومجمـــع تهليل عظيم، فيشاهد السائح ثلاث حقائق تدل على أن الحيوانات والطيور تؤدي شكرها تجاه خالقها ورازقها وتشيد وتشهد على وحدانيته، ويدخل السائح عالم الإنسان فيرى أن جميع الأنبياء يرددون لا إله إلا الله، وهم جميعا يدعون إلى التوحيد الخالص وإلى الإيمان بالله تعالى لإخراج البشرية من مرتبة الحيوانية ورفعها إلى درجة الملك، وذلك ركن من أركان الإيمان.

ويرى السائح العلماء والمحققين والمجتهدين المتبحرين يثبتون بتدقيقاتهم العميقة المسائل الإيمانـــية المثبتة وفي مقدمتها وجود الخالق سبحانه وتعالى ووحدانيته، فيحس بقوة معنوية هائلة تنصب في كيانه وتملأ جوانحه.

ويَطْـــرُق السائح عالم الغيب فيرى أن شهادة الوحي والإلهام أقوى بكثير من شهادة الكائنات والمخلوقات، ويفهم أن حقيقة الوحي تفيد في:

- أن التكـــلم وفق مفاهيم البشر وبمستوى عقليتهم هو الذي يطلق عليه (التنـــزيلات الإلهية إلى عقول البشر) .

- وأن الذي برأ الوجود معجزة ويملؤه بمعجزاته الباهرة لتفصح عنه وجعلها ألسنة ناطقة بكمالاتـــه، لابد وأنه سَيُعَرِّف ذاته أيضا بكلامه هو، وأن مقابلة مناجاة الناس الحقيقية وشكرهم بكلامه سبحانه وتعالى من شأن الخلافية.
- وأن صفة المكالمة التي هي ضرورة لازمة وظاهرة مضيئة لصفتي العلم والحياة لابد وأنها توجد بصورة محيطة وبسرمدية خالدة عند من له علم محيط وسرمدية وحياة سرمدية.
- وأن الذي فطر مخلوقاته على العجز والشوق والفقر والحاجة والقلق من العاقبة ومنحهم المحــبة والعــبودية، مـــن مقتضى ألوهيته سبحانه وتعالى أن يشعرهم بوجوده بتكلمه سبحانه.

وهكـــذا فهـــم الســـائح أن الدلائل التي تدل بالإجماع على وجود واجب الوجود ووحدانيـــته سبحانه في الوحي السماوي العام المتضمن لحقائق التنـــزيل الإلهي هي أقوى من شهادة الشمس على نفسها في رابعة النهار.

ثم ينظر السائح إلى الإلهامات الصادقة /مع أنها تتشابه من جهة الوحي/ من حيث أنها نوع من المكالمات الربانية إلى أن هناك فرقين:

الأول: أن معظـــم الوحي الذي هو أسمى وأعلى من الإلهام إنما يتم بوساطة الملائكة بينما الإلهام يتم دون وساطة.

الــثاني: أن الوحـــي صـــاف ودون ظل وخاص للخواص، أما الإلهام ففيه ظل واختلاط وألـــوان، وهو عام وله أشكال متنوعة ومتفاوتة جدا كإلهامات الملائكة، وإلهامات الإنسان، وإلهامات الحيوان.

ثم يخاطـــب ذلـــك السائح في الدنيا عقله قائلا (مادمت أبحث عن مالكي وخالقي باســـتنطاق موجـــدات هذا الكون، فمن الأولى أن أزور من هو أكمل إنسان في الوجود وأعظم من يقود إلى الخير ألا وهو محمد ﷺ ، الذي أضاء العالم بفضله وبقرآنه أربعة عشر قرنا من الزمان /وينبغي أن نذهب إلى عصر النبوة/ فدخل بعقله إلى ذلك العصر فرأى:

أن ذلـــك العصـــر قد صار به ﷺ عصر سعادة للبشرية حقا، لأنه قد حول /في زمن يسير/ بالنور الذي أتى به قويا قوما غارقين في أشد أمية وأعرق بداوة، حوّلهُم إلى أساتذة

العـــالم وسادته، وقد رأى أنه ﷺ متصف بجميع السجايا الفاضلة والخصال الحميدة حتى شـــهد له غرماؤه، وأن القرآن الذي بيده ﷺ معجز من أربعين وجها، وأنه ﷺ قد بُعث بشريعة مطهرة، وبدين فطري، وبعبودية خالصة، وبدعاء خاشع، وبدعوة شاملة، وبإيمان راسخ لا مثيل لما بعث به، ولن يكون وما وجد أكمل منه ولن يوجد.

ثم إن إجمـــاع الأنبياء عليهم السلام واتفاقهم على الحقائق الإيمانية نفسها دليل قاطع عـــلى وجـــود الله سبحانه وتعالى وعلى وحدانيته، وشهادة صادقة على صدق هذا النبي ورســـالته، وأن وصـــول آلاف الأولـــياء إلى الحـــق والحقـــيقة وما نالوا من الكمالات والكـــرامات، وما فازوا به من الكشفيات والمشاهدات، ليس إلا اقتداء بِهُدَى دساتير هذا النبي وتربيته أتباعه وتعقب أثره، وأن ملايين العلماء الموفقين الأصفياء والمحققين الصِّدِّيقين ودهاة الحكماء المؤمنين-ممن بلغوا أعلى المراتب- بفضل ما درسوا وتتلمذوا على ما جاء به هذا النبي الكريم، مثلما يشهدون بالوحدانية يشهدون على صدق هذا المعلم الأكبر.

وأن هذا الكون كما أنه يدل على صانعه ومصوره الذي أوجده والذي يدبره ويرتبه ويتصرف فيه بالتصوير والتقدير والتدبير، هو كذلك يستدعي وجود من يعبر عما في هذا الكتاب الكثير من المعاني، ويعلم المقاصد الإلهية من وراء خلق الكون، أي بمقتضى يقتضي داعـــيا عظـــيماً، ومناديا صادقا، وأستاذا محققا، ومعلما بارعا، فأدرك السائح صدق هذا المعنى، وهي شهادة عامة وكلية راسخة لا تتزعزع ولن تستطيع أن تجابـــهها كافة في أي جهة ولو اجتمعوا لها.

إعجاز القرآن:

القـــرآن الكريم معجزة النبي محمد، ومحمد ﷺ بكل معجزاته ودلائل نبوته وكمالاته العلمـــية معجزة أيضا للقرآن الكريم، وحجة ناطقة على أنه كلام رب العالمين، وقد بدل الحـــياة الاجتماعية تبديلا هائلا، وأحدث انقلابا عظيما في نفوس البشر، وفي قلوبهم، وفي أرواحهـــم، وفي عقولهـــم، وفي حـــياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعســـكرية، بحيث أن آياته البالغة تتلى من أربعة عشر قرنا، في كل آن، بألسنة أكثر من

مليار شخص بكل إجلال واحترام، فيربي الناس، ويزكى نفوسهم، ويصفي قلوبهم، ويمنح الأرواح انكشافا ورقيا، والعقول استقامة، والحياة سعادة، فهو معجزة خارقة.

والقرآن الكريم: قد أظهر عذوبة وحلاوة ذات أصالة وحقيقة، بحيث أن التكرار الكثير لا يورث الملل بل يزيد تكرار تلاوته من عذوبته وحلاوته، والقرآن الكريم قد بسط أحد جناحيه نحو الماضي والآخر نحو المستقبل، وبلاغة الكلام وعلوه تتضح في بيان من قاله ؟ ولمن قاله ؟ و لم قاله ؟

وقد أثبت القرآن الكريم المعجزة في كل ناحية من نواحيه شهادة ثابتة بالدلائل على وجود واجب الوجود، وعلى وحدانيته، وعلى حقائقه، وعلى أسمائه الحسنى.

وكل ما في الكون يفيد وجود ووحدانية خالق صانع ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، يعمل بقدرة لا حد لها، وبحكمة لا نهاية لها، وتثبت شهادة الكون حقيقتان عظيمتان واسعتان تتناسبان مع سنة الكون وعظمته :

الأولى : حقيقة الحدوث والإمكان.

الثانية : حقيقة التعاون.

براهين التوحيد:

هناك أربع حقائق قدسية تستحوذ على الكائنات، وتستلزم التوحيد بدرجة البداهة:

الأولى : **الألوهية المطلقة**، وقد أفاض القرآن الكريم في رفض الشرك بشدة، وهدد المشركين بعذاب جهنم.

الثانية : **الربوبية المطلقة**، التي لا تقبل الشرك ولا المشاركة، وإرشادات القرآن الكريم المستمرة إلى التوحيد نابعة من هذا السر الأعظم.

الثالثة : **الكمالات**، جميع الكائنات وما فيها من حكم سامية، ومن جمال خارق، ومن قوانين عادلة، ومن غايات حكيمة، إنما تدل – بالبداهة - على وجود حقيقة الكمالات، والشرك الذي يحول دون ذلك لا يمكن أن يكون موجودا في الكون.

الرابعة : **الحاكمية المطلقة**، فمادامت الحاكمية المطلقة ثابتة لله وحده فإن الشرك لا حقيقة له، والحاكمية هي مقام للعزة والتوحيد الحقيقي إنما هو حكم وتصديق وإذعان

وقبول كل ما يُمَكِّن المرء أن يهتدي إلى ربه من خلال كل شيء، ويمكنه أن يرى في كـــل شيء السبيل المنير الذي يوصله إلى خالقه الكريم، فلا يمنعه شيء قط عن سكينة قلبه واطمئنانه واستحضاره مراقبة ربه.

وهناك حقائق محيطة تستحوذ على الكائنات وتثبت التوحيد وتستلزمه بالبداهة.

الأولى: حقـــيقة العظمة والكبرياء، وهي لا تسمح بأي نوع من أنواع الشرك، فهو تحد لتلك الكبرياء، وتطاول على عزة الله تعالى.

الثانـــية: ظهور الأفعال الربانية ظهورا مطلقا، ومن ذلك النمل والأنعام وثمرات النخيل والأعناب، والذي يقوم بهذا الفعل إن هو إلا خالق جميع الكائنات.

الثالـــثة: حقيقة الإيجاد والإبداع، أي إيجاد الموجودات بكثرة مطلقة في سرعة مطلقة مع انتظام مطلق، وخلق المخلوقات بسهولة مطلقة مع انتظام مطلق، وخلق المخلوقات بسهولة مطلقة في غاية الحسن والجمال مع المهارة المتقنة والانتظام الكامل، وإبداع المصـــنوعات في غايـــة النفاســـة والجودة والتميز الواضح بين منتهى الوفرة وغاية الاختلاط والامتزاج.

الـــرابعة: كلية الموجودات وظهورها معا، إن وجود الموجودات وظهورها معا متداخلة متشابهة بعضها مع بعض، والعلاقة الوثيقة في نفس الصنعة، والإتقان والتعاون فيما بيـــنها، وإكمـــال كل منها وظيفة الآخر الفطرية، تعلن التوحيد بداهة، وتثبت أن صانعها واحد أحد، ويظهر /من جهة الربوبية المهيمنة/ أن الكائنات قاطبة لا تقبل التجزئة والانقسام فهي بحكم الكل والكلي.

الخامســـة: الانتظام الأكمل ووحدة المواد، أي وجود الانتظام الأكمل في مجموع الكون وأركانه وأجزائه، بل في كل موجود فيه المواد واحدة والماهية واحدة في كل مكان عـــلى الرغم من تداخل بعضه في بعضه الآخر، كل ذلك يدل على أن صانع هذا الكون ومدبره واحد أحد، فرد صمد، ليس كمثله شيء، منـــزه عن العجز، متعال عن القصور:

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه الواحد

وهناك أربع حقائق تكشف التوحيد وتبينه كالشمس الساطعة:

الأولى: حقـيقة الفتاحية، أي انفتاح ما لا يحد من الصور المنتظمة المتنوعة المختلفة بتجلي اسـم الفـتاح من مادة بسيطة، وانكشافها في كل طرف من أطراف العالم في آن واحد وبفعل واحد.

الثانية: حقيقة الرحمانية، وهي تعني أن هناك واحدا جعل لنا الأرض مضيفا رائعا، وفرش لـنا بتلك الرحمة مأدبة تحتوى الآلاف من مختلف الأطعمة، وفرش لنا بتلك الرحمة مأدبـة المعدة على تلك المائدة، ووهبنا معدة تهضم الأطعمة بعد التلذذ بها، وشمول الرحمة ووصولها إلى كل فرد في كل مكان وفي كل آن تظهر بداهة الوحدة وترى الأحدية في تلك الوحدة.

الثالثة: حقيقة التدبير والإرادة، أي حقيقة إدارة الأجرام السماوية وهي في منتهى السرعة والضخامة، وإدارة العناصر والمخلوقات الأرضية إدارة بكامل الانتظام والموازنة.

الرابعة: حقيقة الرحيمية والرازقية، أي حقيقة إعطاء الرزق إلى جميع ذوي الحياة وبخاصة العاجـزين والضـعفاء والأطفـال، وإعطائهم أرزاقهم المادية والمعنوية بكل شفقة ورأفة.

والرزق الحلال يأتي متناسبا مع الضعف والعجز اللذين يمنحان التوكل وهو نوعان:

الأول: الـرزق الحقيقي والفطري للمعيشة، وهو مُقدَّر إلى حد أن المدخر منه في الجسم يمكنه أن يعيش الإنسان ويديم حياته أكثر من عشرين يوما.

الـثاني: الرزق المجازى، الذي يكون بعد أن يدمن الإنسان عليه بالتعود والإسراف وسوء الاسـتعمال، والسـعيد في الرزق الثاني هو من يعلم أن السعي الحلال بالاقتصاد والقـناعة هـو نوع من العبادة، والشقي التعس هو من يتخلى عن السعي الحلال بالإسراف والحرص فيقضي حياته بالكسل والتظلم والتشكي.

الإيمان وتكامل الإنسان:

هـــذه الرســـالة فيها تفسير لمعاني بعض الآيات القرآنية، فالإيمان نور يضيء جنبات الحياة، ونعمة كبرى توصل الإنسان إلى ربه، وتربطه بربه الجليل، والكفر ظلمة ما بعدها ظـــلمة تـــردي الإنسان وتسقطه من مرتبة الإنسانية إلى أدنى مراتبه الحيوانية فتلقى به إلى أسفل سافلين.

وقـــد حاول الشيخ بديع الزمان أن يبين في هذه الرسالة خمس فوائد للإيمان فقال: يقـــول الله تعالى ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** ﴾ (سورة التين: ٤-٦).

وقد بيَّن الشيخ بديع الزمان في هذه الرسالة خمس فوائد من محاسن الإيمان:

الأولى: أن الإنســـان يســـمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين فيكسب بذلك قيمة تجعله لائقا بالجـــنة، بيـــنما بظلمة الكفر ينـــزل إلى أسفل سافلين فيكون في وضع يؤهله لنار جهـــنم، لأن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل ويربطه بوثاق شديد، أما الكفر فـــيقطع تلـــك النســـبة وتغشى ظلمته الصنعة الربانية فتنقص قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته.

والإنسان هو الصنعة الخارقة للخالق الصانع سبحانه وتعالى، فإذا استقر نور الإيمان في هذا الإنسان تحول إلى مرتبة أسمى المخلوقات قاطبة حيث يصبح أهلا للخطاب الإلهـــي يـــنال شـــرفا يؤهله للضيافة الربانية في الجنة، أما الكفر فإنه يهدم الماهية الإنسانية ويحيلها من جوهرة نفيسة إلى فحمة خسيسة.

الثانـــية: كما أن الإيمان نور يضيء الإنسان بنوره ويظهر بارزا جميع المكنونات الصمدية، كذلك فهو ينير الكائنات أيضا وينقذ القرون الخالية والآتية من الظلمات الدامسة، فإذا وجد الإيمان إلى قلب الإنسان سبيلا، وانكسرت فرعونيَّة النفس، وأصغى إلى كـــتاب الله تعالى، فإنه يمتلئ بالنور الإلهي، ويرى الموت مقدمة لحياة أبدية، ويرى القبر باب سعادة خالدة.

الثالـــثة: الإيمـــان قـــوة أيضا، والإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائـــنات ويتخلص من آثار الحوادث، مستندا إلى قوة إيمانه، فيبحر متفرجا على ســـفينة الحـــياة في خضـــم أمواج الأحداث العاتية بكمال الإيمان والسلام قائلا: (توكلـــت عـــلى الله) ، ويسلم أعباءه الثقيلة أمانة في يد القدرة للقدير المطلق، ويقطـــع بذلـــك ســـبل الدنيا مطمئن البال في سهولة ويسر حتى يصل إلى البرزخ ويستريح ثم يرتفع طائرا إلى الجنة للدخول في السعادة الأبدية.

أما إذا ترك التوكل على الله فإن هذه الأثقال ستجذبه إلى أسفل سافلين.

فالإيمـــان يقتضي التوحيد، والتوحيد يعود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين.

معنى التوكل:

الـــتوكل عبارة عن العلم بأن الأسباب هي حجب بيد القدرة الإلهية ينبغي رعايتها ومداراتهـــا وطلب المسببات، وترقب النتائج لا يكون إلا من الحق سبحانه وتعالى وأن كل شيء لا يرجع إلا لله وحده.

الـــرابعة: أن الإيمـــان يجعـــل الإنسان إنسانا حقا، بل يجعله سلطانا، لذا كانت وظيفته الأساســـية الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه، بينما الكفر يجعل الإنسان حيوانا مفترسا في غايـــة العجز، ووظيفة الإنسان الفطرية التكمل بالعلم والترقي عن طريق كسب العـــلم والمعـــرفة والعبودية بالدعاء، فوظيفته الأساسية التحليق والارتفاع بجناحي العجز والفقر إلى مقام العبودية السامي.

الخامســـة: الإيمان يقتضي الدعاء ويتخذه وسيلة قاطعة ووساطة بين المؤمن وخالقه، كما أن الفطـــرة الإنسانية تتلهف بشدة وشوق فالله سبحانه وتعالى يدعو الإنسان إلى الأمر نفسه، يقول الله تعالى ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ ﴾ (الفرقان:٧٧).

والعـــبودية: لابـــد وأن تكون خالصة لوجه الله تعالى، بأن يأوي الإنسان إلى ربه بالدعـــاء مظهرا عجزه، مع عدم التدخل في إجراءات ربوبيته، أو الاعتراض عليها،

وتسليم الأمر كله والتدبير إليه وحده، مع الاعتماد عليه، والاطمئنان إلى حكمته، دون اتهام لرحمته ولا القنوط منها .

والدعاء نوعان : دعاء فعلي، ودعاء قلبي:

والإنســـان لكونه مخلوقا في أحسن تقويم موهوبا بأتــمّ استعداد جامع، فإنه يتمكن مـــن أن يدخل في ميدان الامتحان، هذا الذي ابتلي به ضمن ثقافات ومراتب ودرجات ودركات مصفوفة ابتداء من سجيل إلى رياض أعلى عليين.

وفي الإنسان جهتان :

جهـــة الإيجـــاد والوجـــود والخير والإيجابية والعقل، وجهة التخريب والعدم والشر والسلبية والانفصال.

والنفس الأمارة بالسوء بإمكانها اقتراف جنايات لانهاية لها من جهة الشر والتخريب، أما في الخير والإيجاد فإن طاقتها محدودة وجزئية.

وفي الإنسان جهة الأنانية المقصورة على الحياة الدنيا، وجهة العبودية الممتدة إلى الحياة الأبدية.

والســـمو والترقي الحقيقي إنما يكون بتوجيه القلب والروح والعقل إلى الحياة الأبدية الباقـــية، واشتغال كل منها بما يخصها ويناسبها من وظائف العبودية، وإخضاع اللطائف الســـامية لأوامـــر النفس والهوى وطمس وظائفها الأصلية يعتبر سقوطا وانحطاطا لا ترقيا وصعودا.

ثم إن الإنســـان مـــن جهة العمل وعلى أساس السعي المادي حيوان ضعيف ومخلوق عاجـــز ، فإذا استند إلى أنانيته وغروره وانحدر واتخذ الحياة الدنيا غاية آماله فسوف يغرق في دائرة ضيقة ويذهب سعيه أدراج الرياح ، أما إذا أدرك أنه ضعيف عزيز وتحرك ضمن دائرة مرضاة الله الكريم فإنه سيعيش سالما آمنا مطمئنا ، وبإمكانه الصعود والرقي إلى أعلى عليين .

والإنسان في هذا الكون أشبه ما يكون بالطفل الضعيف المحبوب، يحمل في ضعفه قوة كبيرة وفي عجزه قدرة عظيمة، فبقوة ذلك الضعف سخرت له كل الموجودات وانقادت،

فـإذا مـا أدراك الإنسـان ضعفه ودعا ربه قولا وعملا وأدى الشكر والثناء على ذلك التسخير فإنه يوفق إلى مطلبه، وتتحقق مآربه إليه طائعة منقادة.

أما إذا ألقى السمع إلى النفس الأمارة والشيطان فإنه سيسقط إلى أسفل سافلين، لأن الإنسـان أرسـل إلى الدنـيا ضيفا وموظفا ووهبت له مواهب واستعدادات مهمة جدا وأسندت إليه وظائف جليلة، وقد رغب ورهب لإنجاز عمله.

إن الإنسـان له عـبودية وتفكـر بصورة غيابية، وعبودية ومناجاة بصورة مخاطبة حاضرة.

أمـا الأولى: فتصـديقه بالطاعـة لسلطان الربوبية، واستنباط العبرة والدروس، والتفكر بإعجاب في مخلوقات الله تعالى .

والثانـية: بـناء الحضور والخطاب الذي ينقذ من الأثر إلى المؤثر، فيرى أن الله الجليل قد جعل الأرض معرضا لعرض جميع الصنائع الغريبة فيقابل ذلك بالاستحسان فيقول:
(سبحان الله والله أكبر وبارك الله) وينصب التوحيد في آفاق العالم معلنا ربوبيته، فيقابله هو بالتصديق والإيمان والتوحيد والإذعان والشهادة والعبودية.

"أنـا" ذات الإنسان وحركات الذرات بين الفلسفة والدين:

الإمـام النورسي فطن إلى أن الأمانة هي وحدها التي أهَّلَت الإنسان لأن يقوم خليفة لله في الأرض، لأنهـا قد مكنته من أن يتصرف في كل ما استخلفه الله تعالى فيه تصرف المطاع، وفتحت له مغاليق الكون وأسرار الوجود، وإذا عرف الإنسان أن تلك الأمانة في أصـل علاقـته بالله تعالى وأقر بذلك إقراراً اختياريا، أقام عزيزا مكرما في مقام العبودية، فيدخل ضمن بشارة قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (الشمس:٩) ، لأنه يكون عندها قد أدى الأمانة حقها فيرى بمنظار (أنـا) حدود دوره ووظيفته في هذه الحياة.

ويرى الإمام النورسي أن لحركة (أنـا) وجهتين :

الأولى: وجهـة يتطلع فيها إلى حقائق النبوة، **والثانية:** وجهة يتطلع فيها إلى حقائق الفلسـفة، ومقصوده بالوجهة هنا حركة النفس نحو التكمل بالعلم والمعرفة، فإذا تطلع أنا

إلى حقائق النبوة فإنه يعرف أنه موجود بغيره، وأن غاية وجوده طاعة الله تعالى والانقياد لأوامره .

أما إذا تطلع (أنا) إلى حقائق الفلسفة فإنه يعرف أنه أصل في الوجود وأنه لا غاية لوجوده ولا وظيفة إلا التي يتوهمها، فهي حركة اختيارية بها ينتسب الإنسان إلى الله تعالى، وهذه النسبة تحدث ألفة وانسجاماً بين الله تعالى المؤتمِن وبين الإنسان المؤتمَن، وعبوديتنا لله تعالى لابد وأن تكون غاية في الذل، غاية في الحب، وغاية في التعظيم لله، حتى ترتفع العبودية إلى مرتبة عالية وسامية في الأداء، بحيث تأتي على الدوام مصحوبة لمعانٍ فيها التعبير الحقيقي عن أنانية الإنسان.

وهذه الرسالة حوت الأمانة، وغاية حرمة الإنسان، والوحدة الموضوعية بينهما وحدة تشتمل على معانٍ دقيقة.

فالأمانة تعني المعنى الذي به قوام الإنسان والذي يعطيه كل ما له من شرف ومن أهمية، وقد وصف الله تعالى الإنسان بأنه (ظلوم وجهول) لتكتمل بهذه الأمانة معنى الإنسان الغائب والخليفة عن الله في أرضه.

والأمانة مكنت الإنسان من أن يتصرف في كل ما استخلفه الله تعالى منه تصرف الملك المطاع.

والذرات لها نسبة استنادية لله تعالى جعلت حركتها ووظائفها لا تنفك عن قدرة الله وإرادته وحكمته، ومن ثَمَّ كانت حركتها موصولة دوماً بالله تعالى، وفي النسبة الاستنادية للذرات عبودية لله تعالى، وهي عبودية انبثقت من شهادة لله تعالى بالوجود والوحدانية، فللذرات عبودية والعبودية هي غاية حركتها، وغاية حركة الإنسان تعني أن تكون عبوديتنا في معناها الواسع تفصيلاً لو أمعنا النظر فيه لتبين لنا أن تكون عبوديتنا لله غاية في الذل غاية في الحب غاية في التعظيم لله تعالى، حتى ترتفع العبودية من مرتبة الأداء الحركي العادي للجوارح إلى مرتبة عالية وسامية في الأداء، بحيث تأتي على الدوام مصحوبة بمعانٍ فيها التعبير الحقيقي عن أنانية الإنسان.

ومـــن هـــنا يقول الإمام النورسي (أنـــا) مفتاح يفتح مغاليق الكون، والله سبحانه وتعالى أودع من جهة الأمانة في الإنسان مفتاحاً يفتح به كل أبواب العالم، وقد وضع بيد الإنســـان أمانة هي (أنـــا) فتكون أنا وحدة مناسبة تعرف منها أوصاف الربوبية وشؤون الألوهية.

و(أنـــا) يـــدل على معنى في غيره وهو خيط رفيع من نسيج ثوب ماهية البشر، وهو حـــرف (الألف) في كتاب شخصية بني آدم، وذلك الحرف له وجهان: وجه متوجه إلى الخير والوجود، ووجه متوجه إلى الشر.

وحيـــنما يـــؤدى (أنـــا) وظيفته على الصورة السليمة فإنه يتوجه ويفوض الملك لله وحده قائلاً: (له الملك وله الحمد وله الحكم وإليه ترجعون) ، فيلبس لباس عبوديته الحقة ويـــرتقي إلى مقـــام أحسن تقويم، (قد أفلح من زكاها) ، ولكن إذا نسي (أنـــا) حكمة خلقـــه، وتـــرك وظيفته الفطرية معتقداً بنفسه أنه المالك، فقد خان الأمانة ودخل ضمن النذير الإلهي، (وقد خاب من دساها).

وفي تاريخ البشرية تياران عظيمان:

١- سلسلة النبوة والدين. ٢- سلسلة الفلسفة والحكمة.

إن النبوة تمضي آخذة وجهاً لأنا، والفلسفة تقبل آخذة الوجه الآخر للأنا.

فالوجـــه الأول يعرف بأنه عبد لله ومطيع لمعبوده، ووظيفته القيام بطاعة مولاه طاعة شعورية كاملة، لكونه ميزاناً لمعرفة صفات خالقه، ومقياساً للتعرف على شؤونه سبحانه.

وأمـــا الوجـــه الـــثاني فقد اتخذ الفلسفة، وتزعم أن الإنسان مالك حقيقي في دائرة تصرفه، وتفهم أن وظيفته هي الرقي والتكامل الذاتي الناشئ من حب ذاته، ومن القواعد المقرة للنبوة في حياة الإنسان الشخصية التخلق بأخلاق الله تعالى.

وفي حياته الاجتماعية، أن التعاون دستور مهيمن على الكون، وأن الواحد لا يصدر إلا عـــن الواحـــد، وأن لكل شيء حكماً كثيرة ومنافع شتى، ومن نتائج الأسس الفاسدة للأنـــا أن تعـــتريها الغفلـــة والإنكار فتتجمد تلك الأنانية، ثم بالعصيان لأوامر الله تعالى

ويشرع للناس، وحتى الأسباب على نفسه يمنحها فرعونية طاغية وكأنه يتحدى الله تعالى، مثل قوله ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (يس:٧٨).

فأنا في العالم الصغير كالإنسان، وكالطبيعة في العالم الكبير، كلاهما من الطواغيت ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

ولذلك فإننا نلاحظ أن هناك طريقين:

الأول : هو طريق الضالين المشار إليه بقوله **﴿ولا الضالين﴾** ، وهو مسلك الذين زلوا إلى مفهوم الطبيعة وتبنوا أفكار الطبيعيين.

الثاني : المشار إليه في قوله تعالى **﴿غير المغضوب عليهم﴾** ، فهو مسلك عبدة الأسباب، والذين يجعلون الخلق والإيجاد إلى الوسائط ويسندون إليها التأثير، ويريدون بلوغ حقيقة الحقائق، ومعرفة الله عز وجل عن طريق العقل والفكر وحده كالحكماء المشّائين.

والطريق الثالث: المشار إليه في قوله **﴿أنعمت عليهم﴾** ، فهو الصراط المستقيم والجادة النورانية لأهل القرآن، وهو أقصر الطرق وأسلمه وأيسره، ومفتوح أمام الناس كافة ليسلكوه، وهو مسلك سماوي رحماني نوراني.

ونلاحظ أنه في حركة كل ذرة وفي سكونها يلمع نوران للتوحيد كأنهما شمسان ساطعان، بينما يرى الماديون أن تحولات الذرة مربوطة بالمصادفة.

والله سبحانه وتعالى يحرك الذرات ويسخرها جاعلاً من كل روح واحدة (نموذجاً) لتحديد تجليات الإيجاد في الوجود، ومالك الملك قد خلق الدنيا ليزرع فيها معجزات قدرته غير المتناهية ويحصدها، ويحرك الذرات بحكمة تامة، ويسخرها في وظائف منظمة لأجل إظهار بدائع الموجودات، وفي ذلك إظهار لكمالات إلهية لا نهاية لها.

فالخالق الحكيم قد عيَّن لكل شيء نقطة كمال تناسب ذلك الشيء، يجدد نور وجود يليق به، فيسوق ذلك الشيء إلى نقطة الكمال تلك باستعداد يمنحه إياه.

فهـــذا القـــانون للربوبية مثل ما هو جارٍ في جميع النباتات والحيوانات جارٍ أيضاً في الجمـــادات، حتى يمنح الله سبحانه وتعالى التراب العادي رُقِيًا يبلغ به درجة الألماس ومرتبة الأحجار الكريمة.

والخـــالق الحكيم لا يسرف في شيء قط، ولا يعمل عبثاً قط، وكل شيء يقول بسم الله الـــذي افتـــتح معرضاً هائلاً يعرض مصنوعاته الدقيقة كي يلفت أنظار رعيته إلى أبهة سلطته وعظمة ثروته ليشاهد جماله وكمال المصونين على وجهين:

الأول: أن يرى بالذات معروضاته بنظرة البصير الثاقب الدقيق.

الثاني: أن يراها بنظرة غيره.

غايات الحياة:

يلخص الشيخ بديع الزمان غاية الحياة بتسعة أمور:

١- القـــيام بالشكر الكلي، ووزن النعم المدخرة في خزائن الرحمة الإلهية بموازين الحواس المغروسة في الجسم.

٢- فتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية الحسنى بمفاتيح الأجهزة المودعة في الفطرة، ومعرفة الله جل وعلا بتلك الأسماء.

٣- إعلان ما ركبت فيك الأسماء الحسنى من لطائف تجلياتها وبدائع صنعها، وإظهار تلك الطرائف البديعة أمام أنظار المخلوقات بعلم وشعور.

٤- إظهار العبودية (أنـــا) عظمة ربوبية الخالق بلسان الحال والمقال.

٥- الـــتجمل بمـــزايا اللطـــائف الإنسانية التي وهبتها تجِليات الأسماء، وإبرازها أمام نظر الشاهد الأزلي جل وعلا.

٦- شـــهود مظاهر الحياة لذوي الحياة شهود علم وبصيرة، ورؤية تفكر وعبرة، وعرض عبادتها إلى واهب الحياة.

٧- معـــرفة الصـــفات المطلقة للخالق وشؤونها الحكيمة، ووزنها بما وهب للحياة من علم جزئي وقدرة جزئية وإرادة جزئية.

٨- فهـــم الأقـــوال الصادرة من كل موجود في العالم، وإدراك كلماته المعنوية فيما يخص وحدانية الخالق وربوبية المبدع.

٩- إدراك درجـــات القـــدرة الإلهية بموازين العجز والضعف والفقر والحاجة المنطوية في النفس، وفهم درجات القدرة الإلهية بعجز الإنسان وفقره غير المتناهيين.

والقرآن الكريم (المقروء) هو أعظم تفسير وأبلغ ترجمان وأعلاه لهذا الكون البديع الذي هو قرآن آخر غير عظيم (منظور) .

وتلمـــيذ القرآن المخلص هو عبد عزيز لا يستذل لشيء حتى لأعظم مخلوق، متواضع هين لين لا يتذلل بإرادته لغير فاطره الجليل ولغير أمره وإذنه بقدر ضعيف، ولكنه مستغنٍ عن كل شيء بما ادخره له مالكه الكريم من خزائن لا تعد في الآخرة، وهو قوي لاستناده إلى قوة سيده المطلقة ولا يعمل إلا لوجه الله ..

بينما تلميذ الفلسفة الفرعونية ذليل، إذ أنه يعبد أخس شيء من أجل منفعته، ويتخذ كـــل ما ينفعه ربّاً له، وهو جاحد متمرد عنيد، ولكنه يرضى لنفسه منتهى الذل في سبيل الحصـــول عـــلى لذة، وهو عنيد دنِيء يتذلل ويخنع لأشخاص هم كالشياطين بل لتقبيل أقدامهـــم، ثم هـــو مغرور جبار نفعي مصلحي غايته تلبية رغبات النفس والبطن والفرج، وهو دساس مكار.

وحكمـــة الفلسفة ترى القوة نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية، وتهدف المنفعة في كـــل شـــيء، وتـــتخذ الجـــدال دستور الحياة، وتلتزم بالعنصرية والقومية السلبية رابطة لـــلجماعات، وثمـــراتها إشباع رغبات الأهواء والميول النفسية التي من شأنها تزويد جموح الـــنفس وإثـــارة الهوى، ومن هنا نلمس سلبية سعادة البشرية من جراء اللهاث وراء هذه الحكمة.

أمـــا حكمة القرآن الكريم فهي تقبل الحق نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلاً من القـــوة، وتجعـــل رضا الله تعالى ونيل الفضائل هو الغاية بدلاً من المنفعة، وتتخذ دستور التعاون أساساً في الحياة بدلاً من دستور الجدال، وتلتزم برابطة الدين والوطن لربط فئات الجماعـــات - بدلاً من العنصرية والقومية السلبية - وتجعل غاياتها الحد من تجاوز النفس

الأمـــارة، ودفـــع الروح إلى معالي الأمور، وتطمئن مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال.

مرشد أخوات الآخرة:

لاحظ الشيخ بديع الزمان اهتمام النساء برسائل النور اهتماماً كبيراً، وحين ذهب إلى مدرســـة الزهراء المعنوية في مدينة إسبرطة سمع أن الأخوات ينتظرون منه أن يلقي عليهن درســـاً كمـــا كان يحدث قبل ذلك، لكنه كان يعاني من ضعف وإنهاك لا يمكنه من إلقاء الـــدروس والمحاضرات، ولذلك كتب لهن (مرشد أخوات الآخرة) المباركات والأخوات الشابات بعض ما يلزمهن فقال:

النســـاء رائـــدات الشفقة وبطلات الجِنان، إن فداء الأم بروحها إنقاذاً لولدها دون انتظار الأجر وتضحيتها بنفسها بإخلاص لأولادها تدلان على وجود بطولة سامية رقيقة في النســـاء بحيـــث يستطعن أن ينقذن حياتهن الدنيوية والأخروية بانكشاف هذه البطولة وانجلائها في أنفسهن، فأول أستاذ للإنسان وأكثر من يؤثر فيه إنما هي والدته دون انتظار لأجر ولا عوض.

وفي الوقت الحاضر ألزم شيء وأهم أساس في التربية الإسلامية وأعمال الآخرة إنما هو (الإخلاص) فمثل هذه البطولة الفائقة تضم بين جوانحها الإخلاص الحقيقي.

أما تضحية الآباء فلا تكون دون عوض، وإنما تطلب الأجر المقابل من جهات كثيرة وعلى الأقل تطلب الفخر والسمعة، ولكن مع الأسف فإن النساء المباركات يدخلن الرياء والـــتملق بطـــراز آخـــر وبطريق آخر نتيجة ضعفهن وعِجزهن، وذلك خلاصاً من شر أزواجهن الظلمة وتسلطهن عليهن.

والعلاج الناجع لإنقاذ سعادة النساء من الإفساد في دنياهن وأخراهن معاً ليس إلا في تربيتهن تربية دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل.

إن النساء مخلوقات مباركة لِيَكُنَّ مَنْشَأً للأخلاق الفاضلة، إذ تكاد تنعدم فيهن قابلية الفسق والفجور والتمتع بأذواق الدنيا.

نصيحة:

أخواتي: اعملن على كسب نفقاتكن بعمل أيديكن كما تفعل نساء الغرب واكتفين بالاقتصاد والقناعة المغروزتين في نظرتكن، وهذا أولى من بخس أنفسكن بسبب هموم العيش بالرضوخ لسيطرة زوج فاسد سيئ الخلق متفرنج، وإذا ما كان حظ إحداكن وقسمتها زوجاً لا يلائمها فلترض بقسمتها ولتقتنع فعسى الله أن يصلح زوجها برضاها وقناعتها، وإلا فإنها ستراجع المحاكم لأجل الطلاق وهذا لا يليق بعزة الإسلام وشرف الأمة، وقال:

إن الذي يدفع الإنسان إلى الزواج أسباب ثلاثة:

الأول: لقد وضعت الحكمة الإلهية ميلاً وشوقاً في الإنسان لإدامة التناسل، ووضع أمره لأداء تلك الوظيفة الفطرية /اللذة/ وقد تكون اللذة التي تدوم عشر دقائق سبباً في حمل المرأة الذي يجعلها تتحمل مشقات عشر سنوات في إحياء حياة طفلها، فيجب ألا تثير أحاسيس المرأة ودوافع نفسها ذلك الميل الفطري في الزواج.

الثاني: المرأة في حاجة إلى من يعينها في أمور العيش لضعف في خلقتها، فمن الأولى لها أن تسعى لكسب نفقتها بنفسها فذلك أفضل من الرضوخ لسيطرة زوج نشأ على تربية غير إسلامية، وليس من شأن طالبة النور أن تبحث عن زوج تارك للصلاة فاقد للأخلاق، ثم الرضوخ له من أجل ذلك الرزق.

الثالث: أن في فطرة المرأة حب للأولاد وملاطفتهم، والذي يقوي هذا الميل الفطري ويسوق إلى الزواج هو خدمة الولد لها في الدنيا وشفاعته لها يوم القيامة، إلا أن التربية الأوربية التي حلت محل التربية الإسلامية تجعل واحداً أو اثنين من كل عشرة أبناء باراً بوالديه، ولذلك أقول : (يجب ألا يبعن أنفسهن رخيصات سافرات كاشفات ودون وجدانهن الزوج المؤمن الصالح ذا الأخلاق الحسنة الملائمة لهن تماماً، بل عليهن البقاء في حياة العزوبة إن لم يجدن ذلك الزوج الكفء، وذلك حتى لا تفسد سعادتها الأخروية من أجل لذة دنيوية طارئة فتغرق في سيئات المدنية الحديثة) .

وقد أجاب الشيخ بديع الزمان على أسئلة خاصة بالمرأة، وكانت إجاباته مختصرة لأن حالته الصحية لا تسمح بالإطالة.

لماذا لم تتزوج ؟ سؤال يجيب عليه الشيخ بديع الزمان بقوله: لأجل أن أتمكن من القيام بخدمة القرآن على وجهها بإخلاص حقيقي كان لابد من ترك زواج الدنيا الأفقي الوقتي /مع علمي بأنه سنة نبوية/ لأن المنظمات الملحدة تشن هجمات عنيفة وتدبر مكائد خبيثة فلابد لصدها بمنتهى التضحية وغاية الفداء وجعل جميع الأعمال في سبيل نشر الدين خالصاً لوجه الله تعالى وحده.

ما حكم الزواج ؟ يجيب الشيخ بديع الزمان على هذا السؤال بقوله: إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على الزواج هي أوامر استحبابية لا وجوبية، فضلاً عن أنها موقوفة بشروط لابد من توافرها وقد يتعذر توافرها للجميع في كل وقت، ولم أقل لطلاب النور تخلوا عن الزواج، ولكن الأخ إذا ما وجد الزوجة التي تعينه على خدمة القرآن فبها ونعمت.

وطلب من طلاب النور أن يجعلوا بيوتهم مدرسة نورية مصغرة كي يتربى الأولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة على الإيمان، وإلا فلو تربى الأولاد على التربية الأوربية وحدها، فإن أولئك الأولاد يكونون غير نافعين لكم في الدنيا من جهة، ومدعين عليكم يوم القيامة إذ يقولوا لكم : لماذا لم تنقذوا إيماننا، فتندمون وتحزنون من قولهم هذا يوم لا ينفع الندم، وما هذا إلا لمخالفة حكمة السنة النبوية المشرفة.

ما الحكمة في الاحتشام؟ يقول الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ (الأحزاب:٥٩) .

إن الاحتشام والحجاب في نظري أمر فطري للنساء تقتضيه فطرتهن لأنهن جبلن على الرقة والضعف، فيجدن في أنفسهن حاجة إلى رجل يقوم بحمايتهن وحماية أولادهن، فهن مسوقات فطرياً نحو تحبيب أنفسهن للآخرين.

ثم إن تسعة أعشار النساء إما متقدمات في العمر دميمات لا يرغبن في إظهار شيبتهن أو دمامـــتهن فيرغـــبن في التحفظ والتستر، فالمرأة لكونها رقيقة الطبع سريعة التأثر تتغير حـــتماً /ما لم تفسد أخلاقها/ من نظرات خبيثة تصوب إليها والتي لها تأثير مادي كالسم، وكثير من النساء في أوربا يشتكين إلى الشرطة من ملاحقة النظرات إليهن.

والزوجة ينبغي لها ألا تلفت أحداً في النظر إليها غير رفيقها الأبدي إلى مفاتنها، وألا تزعجه ولا تحمله على الغضب أبداً.

ومعـــنى أن يكون الزوج كفؤاً للزوجة ملاءمة الواحد للآخر ومماثلتهما، وأهم ما في الكفاءة هذه كفاءة الدين.

ثم إن دوام الثقة المتبادلة بين الزوجين واستمرار الاحترام اللائق والود الصادق بينهما، والتبرج والتكشف يخل بتلك الثقة ويفسد ذلك الاحترام والمحبة المتبادلة.

ويـــرى الشـــيخ بديع الزمان أن كشف بعض المواضع من الجسد يتساوى فيه المحرم وغـــيره، ولربما يهيج لدى بعض المحارم السافلين هوى النظرة الحيوانية، فمثل هذه النظرة سقوط مريع للإنسانية تقشعر من بشاعتها الجلود.

مـــا حكم كثرة النسل ؟ يقول : كثرة النسل مرغوبة دائماً، والرسول ﷺ يقول : « **تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة** » رواه النسائي والبيهقي ، والتبرج يحد من الزواج لأن الشاب مهما بلغ فسوقه، فإنه يرغب في أن تكون صاحبته في الحياة مصونة عفيفة.

والمرأة من حيث كونها مديرة لشؤون البيت ومأمورة بالحفاظ على أولادها وزوجها وأموالـــه فهي تتصف بأعظم خصلة: الأمانة والثقة، إلا أن تبرجها يزعزع ثقة الزوج بها، فالتبرج الذي يثير هوى النفس يؤدي إلى الإفراط وتجاوز الحدود وإلى ضعف النسل وانهيار القوى.

ثم إن أهـــل المدن ينبغي ألا يقلدوا أهل القرى والأرياف في حياتهم الاجتماعية، ولا يرفعوا الحجاب فيما بينهم، لأن النساء في القرى يشتركن في أشغال متعبة لذا لا يهيج ما

قد ينكشف من أجزاء أجسامهن من شهوات للآخرين، فضلاً عن أنه لا يوجد في القرى سفهاء عاطلون بقدر ما هو موجود في المدن.

زواج النبي ﷺ بزينب ما سببه ؟

قــال الشــيخ بديع الزمان إن بعض أهل الضلالة يعدون زواج النبي ﷺ يقوم على الشــهوة، وهــذا هــراء لأن من كان مالكاً من الإنصاف يعلم أن النبي ﷺ من الخامسة والعشرين إلى الأربعين من عمره - تلك الفترة التي تغلي فيها الحرارة الغريزية - قد التزم فــيها بالعصمة التامة والعفة الكاملة واكتفى بزوجة واحدة، ولذلك فإن الزواج بعد هذه الســن يكون لحكمة، فأسرار الدين وأحكام الشريعة النابعة من أحواله المخفية عنهم في نطاق أموره الشخصية الخاصة به، كان رواتها وحامليها هن زوجاته الطاهرات، فقد أدَّين هــذه المهمة على وجهها حق الأداء، بل إن نصف أحكام الدين وأسراره بكامله يأتي عن طريقهن.

أمــا زواجــه بالســيدة صــفية فقد كان بأمر الله تعالى ويظهر ذلك في قوله تعالى ﴿ زَوَّجْـنَاكَهَا﴾ (الأحزاب:٣٧) ، فإنفاذ النبي لذلك الأمر مضطراً، والسر في هذا الأمر موجــود في الآيــة الكــريمة نفسها ﴿ لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ (الأحزاب:٣٧) .

لماذا أباح الإسلام الرق وتعدد الزوجات ؟

الشريعة الإسلامية لم توجد الرق بل أوجدت السبل ومهدت الطرق لتحويل الرق من أقســى صــورة إلى مــا ييسر الوصول إلى الحرية التامةِ والانتقال إليها، أي عدلت تلك الصــورة البشعة وقللت منها، ثم إن تعدد الزوجات إلى حد الأربعة مع أنها موافقة لطبيعة الإنســان والعقل والحكمة فإن الشريعة أنقصتها من الزوجات الثمانية والتسعة إلى الأربعة ووضــعت للــتعدد شروطاً، وحتى لو حصل في بعض النقاط شر فهو شر أهون، والخير المحــض لا يمكن أن يحصل في جميع أنحاء العالم، وممثل أهل الضلالة يقول: إنني أرى سعادة الدنــيا والتمتع بلذة الحياة، والرقي والحضارة والتقدم الصناعي يكون في عدم الإيمان بالله، وفي عدم تذكر الآخرة، وفي حب الدنيا، وفي التحرر من القيود.

والجواب على ذلك في قوله: عد إلى رشدك وأمامك طريقان:

الأول:طريق ذو شقاء يريك إياه داعية الضلال.

الثاني: طريق السعادة الذي يبينه القرآن الكريم.

وطريق الشرك والضلالة والسفاهة والسقوط يهوى بالإنسان إلى منتهى السقوط إلى أسفل السافلين، ويلقي على كاهله الضعيف العاجز في غمرة آلام غير محدودة عبئاً ثقيلاً لا نهاية لثقله.

أما الصراط المستقيم فإنه يداوي جميع تلك الجروح التي يعاني منها أهل الضلالة بالحقائق الإيمانية، ويبدد كل تلك الظلمات السابغة في ذلك الطريق، ويسد جميع أبواب الضلالة والهلاك، حيث يداوي ضعف الإنسان وعجزه وفقره واحتياجه بالتوكل على القدير الرحيم مُسَلِّماً أثقال الحياة وأعباء الوجود إلى قدرته سبحانه وإلى رحمته الواسعة، ويداوي أيضاً تلك الجروح الإنسانية الناشئة من فناء الدنيا وزوال الأشياء ومن حب الفانيات يداويها بلطف وحنان بإظهار الدنيا دار ضيافة، وبأن الدنيا مقدمة الوصال واللقاء مع الأحباء الذين رحلوا إلى عالم البرزخ والذين هم الآن في عالم البقاء ويثبت أن ذلك الفراق هو عين اللقاء.

هل المحبة اختيارية ؟ سؤال يجيب عليه بقوله: المحبة ليست اختيارية، ولكن الأخ عليه أن يجعل محبته في سبيل الله ولوجهه الكريم، سواء أكان ذلك في حب الأطعمة الشهية أو حب الوالدين أو حب الأولاد أو حب الأصدقاء أو حب الزوجة أو حب الأنبياء والصالحين أو حُب الحياة أو حب الشباب أو حب الدنيا وما فيها، فذلك الحب يجعل الأخ المسلم يسير في حبه طبقاً لما جاء به الإسلام فلا تتدخل النفس الأمارة في المحبة، ولذلك فإن كل أنواع المحبة إن وجهت الوجهة الصائبة على الصورة المذكورة فإنها تورث لذة حقيقية بلا ألم وتكون وصالاً حقاً بلا زوال - بل تزيد محبة الله تعالى - فضلاً عن أنها محبة مشروعة وشكراً لله تعالى في اللذة نفسها وفكراً في آلائه في المحبة عينها، والله سبحانه وتعالى يثيب المسلم على كل أنواع المحبة، بينما أنواع المحبة لدى أرباب الدنيا لها عواقب وخيمة من بلايا ومشقات مع ما فيها من نشوة ضئيلة وراحة قليلة.

نتائج المحبة الأخروية: يقول الشيخ بديع الزمان: إن الأخ المسلم يقدم شكراً معنوياً برؤيته الإنعام الإلهي في الأطعمة والفواكه وستسلم له في الجنة أطعمة لذيذة وفواكه طيبة، ومحبة النفس المشروعة ستكافؤ في الجنة بالحور العين والشباب الدائم الخالد في دار النعيم المقيم، ومحبة الزوجة تجعلها في الجنة أبهى من الحور العين، ومحبة الوالدين والأولاد تجعل الخالق سبحانه وتعالى يحسن إلى تلك العائلة السعيدة المحظوظة /على الرغم من تفاوت مراتبهم في الجنة/ لقاء بعضهم بعضاً والمعاشرة والمجالسة والمحادثة فيما بينهم بما يليق بدار البقاء، وينعم عليهم بملاطفة أولادهم الذين توفوا في الدنيا قبل بلوغ سن البلوغ، ويجعلهم لهم ولداناً مخلدين في ألطف وضع وأحبه إلى نفوسهم، ومحبة الأصدقاء والأقرباء التي يتطلبها الحب في الله تعالى، إما أن يكون في الجلوس على سرر متقابلين والمؤانسة بلطائف الذكريات، ومحبة الأنبياء والأولاد الصالحين تكسب شفاعتهم، والحديث الشريف يقول: (**المرء مع من أحب**) ، فالإنسان يستطيع أن يرتفع إلى أعلى مقام وأرفعه بما نسج مع صاحبه من أواصر المحبة وبانتمائه إليه واتباعه له.

ومحبة الدنيا المشروعة تجعل الدنيا مزرعة للآخرة، وهي خالدة دائمة وتكون نتيجتها أثمار جنة واسعة تسع الدنيا كلها، تنكشف فيها جميع الحواس والمشاعر الإنسانية التي يحملها الإنسان في الدنيا كبذرات صغيرة انكشافاً كاملاً تاماً.

رسالة الحشر:

في أحد أيام الربيع الزاهر وعلى ضفاف بحيرة وادعة هادئة ممتدة إلى الأفق الواسع، كان الشيخ بديع الزمان النورسي سارحاً بنظره في تأمل عميق نحو البحيرة الملساء، وقمم الجبال الشامخة المكسوة بالغابات الكثيفة، والخضرة المزدانة بأنواع الأزهار والرياحين، فملكت فؤاده روعة المنظر، ودقة الصنع، وجمال الوجود، وأخذته الدهشة من انبعاث الحياة في كل ما حوله من جمادات ونباتات، وسريان روح الربيع الزاهرة بعد أن كانت ملتفة طوال أيام الشتاء بأكفان الجليد، فبدأ يردد قوله تعالى ﴿ **فَانظُرْ إِلَى ءَاثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (الروم: ٥٠) ، زهاء أربعين مرة وهو يذرع جانباً من ضاف بحيرة (بارلا) جيئة وذهاباً،

حتى شرح الله تعالى صدره وقذف في قلبه نوراً من فيض هذه الآية الكريمة، فأخذت المعاني الجلية تسلك سبيلها إلى نفسه، فما كان منه إلا أن أملى هذه المعاني على أحد تلاميذه فكانت هذه الرسالة، وكان ذلك في عام ١٣٤٢ هـ/١٩٢٦م، والشيخ النورسي كان تحت الإقامة الجبرية في (بارلا) ، تلك القرية النائية على سفح جبال طوروس جنوب غربي تركيا.

وهذه الرسالة تتضمن حقائق قاطعة وأدلة راسخة حول قيام الساعة ونصب ميزان الحق ووجود الآخرة بما فيها الجنة والنار من خلال أمثلة رائعة عما نلمسه حولنا من آثار معدلات الفصول وبالأخص الربيع وما يتعامل بها من بدهيات الحياة اليومية.

وقد حاول الشيخ بديع الزمان في هذه الرسالة الوصول إلى تقريب المعاني إلى الأذهان، وإظهار مدى مفعولية الحقائق الإسلامية ومدى مناسبتها ورصانتها، فأورد تشبيهات وأمثالاً في صورة حكايات، وقال: "إن الثواب والعقاب في حكم المعدوم في هذه الدار، فلابد من محكمة كبرى في دار أخرى، والرزق في الدنيا للجميع وقد يكون للبعيدين عن منهج الله أكثر، وفي الدنيا قد يرحل الظالم في عزته وجبروته كما يرحل المظلوم في ذلته وخضوعه، فالقضية مؤجلة إلى محكمة أخرى، والجميع يغادرون دار الضيافة هذه بسرعة ويغيبون عنها بلا ارتواء من نور ذلك الجمال والكمال، بل قد لا يرون إلا ظلالاً خافتة عبر لمحات سريعة، فالرحلة منطلقة إلى مشهد دائم خالٍ والذين هم في دار الامتحان هذه ليسوا عبثاً، بل تنتظرهم قصور السعادة السرمدية أو غياهب السجون الأبدية الرهيبة.

والأعمال والأفعال في الدنيا ما هي إلا لأجل ما أعد في الآخرة من جزاء، فالمالك القدير يكلف هنا ويجازى هناك فلكل فرد لون من السعادة حسب استعداده وما أقدم عليه من خير، وكل ما يعمله الإنسان مدون، ولذلك فإن الله تعالى يحاسبه على ما قدمت يداه، وقد يقدم على عمل يمس الملك العزيز وتتعرض لكبريائه وتأباه رحمته الواسعة، ذلك لأنهم لا ينالون عقاباً في الدنيا فلابد وأن يؤجل إلى المحكمة الكبرى في دار أخرى، ولابد وأن يكون الرحيل إلى ذلك العز وستعرض الأمور كلها في المشهد الأعظم والعرض

الأكبر، والمقصود من هذه الاحتفالات بلوغ سعادة عظمى ومحكمة كبرى وغايات سامية مستورة عنا، وديار غير هذه الديار فيها محكمة عليا وإنصاف سام ومكرمة عظمى لتظهر هذه الرحمة وهذه الحكمة وهذه العدالة بوضوح وجلاء.

والمملكـــة المؤقتة ما هي إلا بمثابة مزرعة وميدان تعليم وسوق تجارى، فلابد وأن تأتي بعدهـــا محكمة كبرى وسعادة عظمى، فيا أيها الأحباب تميؤوا فإنكم سترحلون إلى مملكة أخـــرى مـــا أعظمها من مملكة رائعة، إن مملكتنا هذه تعد كالسجن بالنسبة لنا، فإذا ما أصغيتم إلى هذا الأمر بإمعان ونفذتموه بإتقان فستكونون أهلاً لرحمة سلطاننا وإحساناته في مســـتقره الذي يتجهون إليه، وإلا فالزنزانات الرهيبة مثواكم جزاء عصيانكم الأمر وعدم اكترائكم به.

الحقائق العليا: يقول الشيخ بديع الزمان: إن الكون لابد له من مبدع، وهناك ثلاث حقائق للمغفل ولصديقه الناصح الأمين المذكورين في الحكاية :

الأولى : هي نفسي الأمارة وقلبي.

والثانية: متعلموا الفلسفة وتلاميذ القرآن الكريم.

والثالثة: ملة الكفر والملة الإسلامية.

وخلـــق كـــل شيء من شيء واحد، وخلق شيء واحد من كل شيء، إنما هو عمل يخـــص خـــالق كل شيء ، وعدم الاعتقاد بالإله الواحد الأحد يستلزم الاعتقاد بآلهة عدة بعدد الموجودات.

وظائف النبوة:

ويلـــزم أن يكـــون لمثل هذا الكون البديع ولصانعه القدوس مثل هذا الرسول الكريم كلزوم الضوء للشمس، فكما لا يمكن للشمس إلا أن تشع ضياء كذلك لا يمكن للألوهية إلا أن تظهر نفسها بإرسال الرسل الكرام.

ترى هل ظهر في العالم من هو أليق لمنصب الرسالة ومهمة التبليغ من محمد ﷺ ؟

والقرآن الكريم الذي هو بحر الحقائق والمعجزة الكبرى كالشمس الساطعة دليل قاطع على صدق رسالته.

أهمية الإنسان:

الإنسان سيد هذه المخلوقات على الرغم من أنه صغير جداً وذلك لما يملك من فطرة جامعـــة شـــاملة، فهو قائد الموجودات والداعي إلى سلطانية ألوهية الله، والممثل للعبودية الكلــية الشـــاملة مظهرها لذا فإن له أهمية عظمى، والكفر جريمة كبرى لأنه يهبط بقيمة الكائـــنات ودرجـــتها إلى الهاوية، ومن ثم فإنه تكذيب ما لا يحصى من الأدلة الدالة على حقـــيقة وجـــود ذات الحق سبحانه وتعالى، وكل هذا جناية لا حدود لها والجناية التي لا حدود لها توجب عذاباً غير محدود.

العالم الفاني دليل على العالم الباقي:

لـــيس من الممكن أن من له شأن الربوبية وسلطنة الألوهية فأوجد كوناً بديعاً كهذا الكـــون لغايـــات سامية ولمقاصد جليلة إظهار الكمال أن لا يكون لديه ثواب للمؤمنين الذين قابلوا تلك الغايات والمقاصد بالإيمان والعبودية ولا يعاقب أهل الضلالة الذين قابلوا تلك المقاصد بالرفض والاستخفاف.

ولابـــد وأن يكـــون هناك دار سعادة تليق بذلك الكرم العميم، وتنسجم يده بتلك الـــرحمة الواسعة، ولابد من جزاء يناسب ذلك الجلال والعزة وينسجم معها، لأنه غالباً ما يظـــل الظالم في عزته، والمظلوم في ذلته وخنوعه، ثم يرحلان على حالهما بدون عقاب ولا ثواب، فالقضية لم تهمل ولن تهمل وإن أمهلت إلى محكمة كبرى، بل قد يعجل العقوبة في الدنيا كإنزال العذاب في القرون الغابرة على أقوام عصت وتمردت، فالإنسان ليس متروكاً زمانـــه، بـــل هو معرض دائماً لصنعات ذي الجلال، والعدالة الحقة تقتضي أن يلاقي هذا الإنسان الصغير ثوابه وعقابه /لا على أساس صغره/ بل على أساس ضخامة جنايته، وعلى أســـاس ماهيته، وعلى أساس عظمة مهمته، ولابد من جنة أبدية ومن جهنم دائمة للعادل الجلـــيل في الجمـــال وللحكيم ذي الجلال، والنظر إلى جمال ذاته يستدعي أن يكون من جهتين:

الأولى: مشاهدة الجمال- بالذات - في المرايا المختلفة المتعددة الألوان.

الأخرى: مشاهدة الجمال بنظر المشاهدين المعجبين المستحسين.

ولما كان الجمال والحسن خالدين فإنهما يقتضيان خلود المشتاقين، لأن الجمال الدائم لا يرضى بالمشتاق الزائل الأقل، والشخص الأناني يعادي ما يجهله وما لا تصل إليه يداه ويضمر عداء وحقداً وإنكاراً لذلك الجمال الذي ينبغي أن يقابل بما يستحقه من محبة بلا نهاية وشوق بلا غاية وإعجاب بلا حد ومن هذا يفهم سر كون الكافر عدواً لله تعالى.

الشفعة وعبودية محمد:

يقول الشيخ بديع الزمان: إنه يسأل السعادة الأبدية لنفسه ولأمته، يسأل الخلود في دار البقاء، يسأل الجنة ونعيمها ويستشفع بالأسماء الحسنى، وكما أن رسالته ﷺ كانت سبباً لإيجاد دار الامتحان فإن عبوديته - كذلك - أصبحت سبباً لخلق تلك الدار السعيدة الأبدية فالرسول ﷺ كما أنه قد فتح برسالته باب الحياة الدنيا، فإنه قد فتح أيضاً باب الجنة بعبوديته.

باب العظمة السرمدية:

يقول الشيخ بديع الزمان إن الدأب والسعي في الدنيا إنما هو للتطلع إلى ما في الآخرة والاستخدام هنا لقبض الأجر هناك، فلكل حسب استعداده واجتهاده سعادة وافرة إن لم يفقدها، والدنيا دار ضيافة تملأ وتفرغ ومنزل حِلٍ وترحال، وأنشئت بحكمة لقافلة الموجودات والمخلوقات وساكنوا هذا الفندق هم ضيوف ومسافرون وربهم الكريم يدعوهم إلى دار السلام وهذه الفترة الغالية الثمن والقصيرة العمر هي للعبرة والشكر، وللحض على الوصول إلى تناول أصولها الدائمة ولغايات أخرى سامية.

وهذه الزينة في الدنيا إنما هي بمثابة صور ونماذج للنعم المدخرة لدى الرحمة الإلهية في الجنة للمؤمنين، وهذه المصنوعات الغالية ليست للفناء، ولم تخلق لتشاهد حيناً ثم تذهب هباء وإنما اجتمعت هنا.

والإنسان لم يُترك حبله على غاربه، بل تُسَجَل كل أعماله ليحاسب عليها، والرحمن الرحيم سوف يكرم في ذلك العالم الفسيح عباده المخلصين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

باب الحفظ والحفظة (وهو تجلي اسم الحفيظ والرقيب):

يقول الشيخ بديع الزمان: إن هذه المحافظة الواسعة الدقيقة تدل على أنه سيفتح سجل المحاسبة على الأعمال، ولا سيما لهذا المخلوق المكرم والمعزز والمفطور على مزايا عظيمة ألا وهو الإنسان، فلابد وأن تدخل أعماله من ميزان حساس ومحاسبة دقيقة، ولابد وأن تنتشر صحائف أعماله.

باب الوعد والوعيد (وهو تجلي اسم الجميل والجليل):

يقول الشيخ بديع الزمان: إن مَثَل الإنسان كمثل المسافر الذي يغمض عينيه عن نور الشمس وينبع ما في عقله من خيال ثم يريد أن ينور طريقه المخيف بضياء ما في عقله من نور كنور اليراع، فما دام الله سبحانه وتعالى قد وعد، وهذه الموجودات كلماته الصادقة بالحق، وهذه الحوادث في العالم آياته الناطقة بالصدق، فإنه سيوفي بوعده وسيفتح محكمة كبرى وسيهب سعادة عظمى.

باب الأحياء والأمانة (وهو تجلي اسم الحي القيوم المحيى المميت):

يقول الشيخ بديع الزمان: إن البارئ المصور سبحانه وتعالى يكتب أمام أنظارنا أحسن صورة وأتمها بقلم القدرة والقدر أكثر من ثلاثمائة ألف نوع على صحيفة الأرض لا صحيفة الشتاء البيضاء إلى الأوراق المتفتحة للربيع والصيف متداخلة دون اختلاطها.

ولذلك فليس هناك شيء يحول دون حدوث الحشر، بل كل شيء يقتضيه ويستدعيه، وليس هناك خبر أصدق من هذا ولا قضية أصوب منها ولا أوضح، فلاشك أن الدنيا مزرعة للآخرة والمحشر، والجنة والنار مخزنان.

باب الحكمة والعناية والرحمة (وهو تجلي اسم الحكيم والكريم والعادل الرحيم):

يقول الشيخ بديع الزمان: ليس هناك علاقة أو مناسبة بين ما يشاهد في شؤون العالم من تجمعات واسعة للحياة واقتراحات سريعة للموت وتكتلات ضخمة وبين ما هو معلوم لدينا من نتائج جزئية وغايات تافهة مؤقتة وفترة قصيرة تعود إلى الدنيا الفانية، وذلك يدل دلالة واضحة على أن هذه الموجودات متوجهة إلى عالم المعنى حيث تعطى ثمارها اللطيفة اللائقة هناك وأن أنظارها متطلعة إلى الأسماء الحسنى وأن غاياتها ترنو إلى ذلك العالم.

والإنســـان يـــزرع هنا في الدنيا ويحصد في الآخرة، وإنكار الآخرة هو إنكار للدنيا، وكما أن الأجل والقبر ينتظران الإنسان فإن الجنة والنار كذلك تنتظرانه وتترصدانه.

باب الإنسانية (وهو تجلي اسم الحق):

يقـــول الشيخ بديع الزمان: إن الإنسان الذي لديه هذا الاستعداد الفطري والذي له آمـــال تمتد إلى الأبد وأفكار تحيط بالكون ورغبات تنتشر في ثنايا أنواع السعادة الأبدية، **هـــذا الإنسان إنما خلق للأبد وسيرحل إليه حتماً فليست هذه الدنيا إلا دار ضيافة مؤقتة وصالة انتظار الآخرة.**

باب الرسالة والتنـــزيل (وهو تجلي بسم الله الرحمن الرحيم):

يقول الشيخ بديع الزمان: إذا لاحظ الإنسان ما هو ظاهر في أغلب الأشياء من تنظيم الحكمة وتزيين العناية وتقدير العدالة، ولطافة الرحمة تبين أنها صادرة من يد القدرة لصانع حكيم كريم عادل رحيم، كذلك إذا لوحظت عظمة هذه الصفات الجليلة وقدرتها وقوتها وطلاقـــتها، مع قصر حياة هذه الموجودات في هذه الدنيا وزهادتها، فإن الآخرة تتبين من خلالها، أي أن كل شيء يقرأ ويستقرأ بلسان الحال قائلاً (آمنت بالله واليوم الآخر) .

ثم تحـــدث الشـــيخ بديـــع الزمان عن ضرورة عقيدة الآخرة لحياة الإنسان الفردية والجماعـــية، لأنها أساس جميع كمالاته ومثله وسعادته، وهي أظهر دلالة من حاجة المعدة إلى الأطعمة والأغذية وأصح شهادة منها.

والقـــرآن الكـــريم به نحو ثلث القرآن وأوائل أغلب السور القصار آيات عنيفة على الحشر تنبئ عن الحقيقة نفسها صراحة أو إشارة، وبينها بوضوح في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الـــنَّاسُ اتَّقُـــوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحج: ١) ، ومادام الله جل جلاله موجوداً فإن الآخرة لا ريب فيها مطلقاً.

وكمـــا تثبتت الأركان الإيمانية بالله وبرسله وبكتبه فكذلك الإيمان بملائكته وبالقدر خـــيره وشـــره مـــن الله تعالى ويشهدان شهادة قوية على العالم الإسلامي ويدلان عليه، ومادامت في الدنيا حياة فلابد أن الذين يفهمون سر الحياة من البشر ولا يسيئون استعمال

حـــياتهم يكونون أهلاً لحياة باقية في دار باقية وفي جنة باقية، وفي الحشر تعود الأرواح إلى أجسادها وتحيا الأجساد وتنشأ وتلبي.

وبعد فإن دراسة تاريخ الشيخ بديع الزمان النورسي تكشف عن فترة تاريخية من حياة تركـــيا الحديثة وما تركته شخصيته فيها من آثار عميقة واضحة المعالم في الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية في الشعب التركي .

وهـــذا الـــتأثير مازال سارياً يفعل فعله ويؤدى دوره في حياته وبعد وفاته، ويعترف بذلـــك أعـــداؤه وخصومه، وهذه الدراسة تبين أن دين الإسلام دين حيوي به قوة ذاتية قـــادرة عـــلى العطاء في كل زمان وفي كل مكان، وأن هذه الحيوية قادرة على أن تنهض بالشعوب الإسلامية، وتلقي بين أيديها بزمام العالم إذا توافرت لها القلوب الواعية السليمة والعقول الذكية والأذهان المتفتحة والإخلاص الكامل والعمل الجاد.

بديع الزمان يتحدث إلى الأخوات:

يقـــول الشيخ بديع الزمان: إن النساء هن رائدات الشفقة وملاذ الحنان، وفداء الأم بـــروحها إنقاذا لولدها من الهلاك إنما يتم دون انتظار الأجر، وتضحيتها بنفسها بإخلاص لأولادها يدل على بطولة سامية رقيقة في النساء بحيث يستطعن أن ينقذن حياتهن الدنيوية والأخـــروية بانكشاف هذه البطولة وانجلائها في أنفسهن، وأول أستاذ للإنسان وأكثر من يؤثر فيه إنما هي والدته دون انتظار لأجر أو عوض.

وهـــذه البطولة الفائقة في الشفقة تضم بين جوانحها الإخلاص الحقيقي، أما تضحية الآباء فلا تكون دون عوض وإنما تطلب الأجر والمقابل من جهات كثيرة وفي الأقل تطلب الفخر والسمعة.

ولكن /مع الأسف/ فإن النساء المباركات يُدخلن الرياء والتملق بطراز آخر وَبِطَرِيقٍ آخر نتيجة ضعفهن وعجزهن وذلك خلاصاً من شرار أزواجهن الظَّلَمة وتسلطهن عليهن.

والعـــلاج الـــناجع لإنقاذ سعادة النساء من الإفساد في دنياهن وأخراهن معاً ليس إلا في تربيتهن تربية دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل.

نعـــم إن النساء مخلوقات مباركة لِيَكُنَّ مَنْشَأً للأخلاق الفاضلة، إذ تكاد تنعدم فيهن قابلية الفسق والفجور للتمتع بأذواق الدنيا.

ثم يقــول: أخواتي اعملن على كسب نفقاتكن بعمل أيديكن كما تعمل نساء القرى واكـــتفين بالاقتصاد والقناعة المغروزتين في فطرتكن، وهذا أولى من بخس أنفسكن بسبب همـــوم العيش بالرضوخ لسيطرة زوج فاسد الأخلاق متفرنج، وإذا ما كان حظ إحداكن **وقســـمتها زوج لا يلائمهـــا فلترض بقسمتها ولتقتنع فعسى الله تعالى أن يصلح زوجها برضـــاها وقناعـــتها، وإلا فإنما سترجع إلى المحاكم من أجل الطلاق وهذا لا يليق بشرف المرأة.**

ما الذي يدفع إلى الزواج؟ سؤال يجيب عليه الشيخ بديع الزمان بقوله: إن الذي يدفع إلى الزواج أسباب ثلاثة:

الأول: لقد وضعت الحكمة الإلهية ميلا وشوقا في الإنسان لإدامة التناسل ووضعت أجرا لأداء تلك الوظيفة الفطرية / اللذة / وقد تكون اللذة التي تدوم عشر دقائق سببا في حمل المرأة الذي يجعلها تتحمل مشقات عشر سنوات في حياة طفلها.

الـــثاني: المـــرأة في حاجة إلى من يُعفِها ويُعِينها في أمور العيش لضعف في خلقتها، وعلى طالـــبة الـــنور أن تبحـــث عن زوج يؤدي الصلاة وأخلاقه حسنة وإلا فلا داعي للرضوخ لزوج من هذا النوع من أجل الرزق.

الثالـــث: أن في فطـــرة المـــرأة حب الأولاد وملاطفتهم والذي يقوي هذا الميل الفطري ويسوقه إلى الزواج خدمة الولد لها في الدنيا وشفاعته لها يوم القيامة، إلا أن التربية الأوربـــية التي حلت محل التربية الإسلامية تجعل واحدا أو اثنين من كل عشرة أبناء بارا بوالديه.

ولذلك أقول: يجب ألا يبعن أنفسهن رخيصات سافرات دون وجدانهن الزوج المؤمن الصالح صاحب الأخلاق الحسنة الملائم لهن تماما، بل وعليهن البقاء في حياة العزوبة إن لم يجـــدن ذلـــك الزوج الكُفء ، وذلك لئلا تفسد سعادتهن الأخروية من أجل لذة دنيوية طارئة، فتغرق في سيئات المدنية الحديثة.

وطلب الشيخ بديع الزمان من الشباب المسلم أن يجعلوا بيوتهم مدرسة نورانية مصغرة كـــي يـــتربى الأبناء الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة على الإيمان وإلا فإن الأولاد لو تربوا عـــلى التربية الأوربية وحدها فإنهم يكونون غير نافعين لكم في الدنيا /من جهة/ ومُدَّعين علـــيكم يوم القيامة إذ يقولون: لِمَ لَمْ تنقذوا إيماننا ؟ فتندمون وتحزنون من قولهم هذا يوم لا ينفع الندم، وما هذا إلا لمخالفة حكمة السنة النبوية الشريفة.

مـــا الحكمـــة في الاحتشام؟ سؤال يجيب عليه الشيخ بديع الزمان بقوله: يقول الله تعالى **﴿ يَـــا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾** (الأحزاب:٥٩) .

إن الاحتشام والحجاب ما هو إلا أمر فطري للنساء تقتضيه فطرتهن لأنهن جُبِلْنَ على الـــرقة والضـــعف، ولذلك فإنهن يجدن في أنفسهن حاجة إلى رجل يقوم بحمايتهن وحماية أولادهن، فهن مسوقات فطريا نحو تحبيب أنفسهن للآخرين.

ثم إن ســـبعة أعشـــار النساء إما متقدمات في العمر أو دميمات لا يرغبن في إظهار دمامـــتهن فيرغـــبن في التحفظ، والمرأة لكونها رقيقة الطبع سريعة التأثر تتغير حتما، ما لم تفسد أخلاقها من نظرات تُصَوَّب إليها والتي لها تأثير مادي كالسُم، وكثير من النساء في أوربا يشتكين إلى الشرطة من ملاحقة النظرات إليهن.

والزوجة ينبغي لها ألا تلفت نظر أحد غير رفيقها الأبدي إلى مفاتنها وألا تزعجه ولا تَحْمِلـــه عـــلى الغضـــب والغيرة، ومعنى أن يكون الزوج كفؤا للزوجة أن تكون ملاءمة الواحد للآخر وأهم ما في الكفاءة كفاءة الدين.

ثم إن دوام الثقة المتبادلة بين الزوجين واستمرار الاحترام اللائق والود الصادق بينهما شيء أساسي، والتبرج والتكشف يُخِلُ بتلك الثقة ويفسد ذلك الاحترام والمحبة المتبادلة.

ويـــرى الشـــيخ بديع الزمان أن كشف بعض مواضع من الجسد يتساوى فيه المحرم وغـــيره، ولربما يهيج لدى بعض المحارم السافلين هوى النظرة الحيوانية، فمثل هذه النظرة مسقط مريع للإنسانية تقشعر من بشاعتها الجلود.

والتبرج يحد من الزواج لأن الشباب مهما بلغ فسوقه يرغب في أن تكون صاحبته في الحـــياة مصونة عفيفة، والمرأة من حيث كونها مدبرة لشؤون البيت ومأمورة بالحفاظ على أولادهـــا وعـــلى زوجها وأمواله فإنها تتصف بأعظم خصلة الأمانة والثقة إلا أن تبرجها يزعـــزع ثقة الزوج بها، فالتبرج الذي يثير هوى النفس يؤدي إلى الإفراط وتجاوز الحدود، وإلى ضعف النسل وانهيار القوى.

إنقاذ الإيمان:

لقـــد قرأ الشيخ بديع الزمان في الصحف المحلية خبراً مدهشاً هز كيانه كله هزاً عنيفاً وهـــو أن وزيـــر المستعمرات البريطاني (غلادستون) قال في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم: (مادام هذا القرآن بين يدي المسلمين فلن نســـتطيع أن نحكمهـــم - لذلـــك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به) .

لذلـــك صـــمم على أن يكرس حياته لإنقاذ الإيمان وربط المسلمين بكتاب الله تعالى وقـــال: (لأبرهـــنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها)، ودعـــاه مصطفى كمال للانضمام إلى حركة المقاومة في أنقرة، فلاحظ أن معظم النواب لا يصلون، كما أن تصرفات مصطفى كمال وسلوكه المعادي للإسلام أحزنه كثيراً، فقرر أن يطـــبع بياناً، وكان ذلك في عام ١٣٤٢ هـــ/١٩٢٣م يتضمن عشر مواد موجهة إلى الـــنواب يعظهم ويذكرهم بالإسلام، وكان من أثر هذا البيان أن استقام ستون نائباً على الـــتدين وأقاموا الصلاة، فاستدعاه مصطفى كمال واتهمه بأنه عن طريق بيانه يبث الفرقة بن أهل المجلس، فأجابه سعيد: (إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة، وإن الذي لا يصلى خائن وحكم الخائن مردود) .

وقـــرر سعيد النورسي أن يعمل على إنقاذ الإيمان في تركيا، ورأى أنها مسألة أساسية لا تحـــتمل التأجـــيل أو التســـويف، وكان يقول للناس: (إن الوقت الآن هو وقت إنقاذ الإيمان) .

ولذلك ألف رسائل النور وقدم الرسائل بفهمه الخاص الذي كان يعرض فيها الحقائق الكونـــية العويصة بأسلوب المنطق الفطري الذي كان يفهمه ولا يفهم غيره، واستطاعت هذه الرسائل أن تبني في تركيا كلها مدرسة روحية وثقافية كبرى مستقيمة المسالك آتت أكلها بإذن ربها في كل مكان.

نعـــم لقـــد حملت رسائل النور معاول التوحيد الحق، فأهوت بها على مراكز الثقافة الفكـــرية والاجتماعية التي تفرعت من المدارس المادية، فأنقذت المجتمع التركي المسلم من كارثـــة حضـــارية محققـــة، لأن الأمر وصل إلى تدريس تلك المبادئ المادية في المدارس والتمكين لها في نفوس الناشئة وأبناء الجيل الجديد على صفحات المجلات والصحف وعبر أجهـــزة الإعلام، ولكي ينقذ الإيمان كان لابد وأن تستعين بالله من الشيطان الرجيم ومن نزعات النفس الأمارة بالسوء ومن الفساد الموجود في المجتمع، ثم لابد وأن نكون وسطاً في كـــل أفعالـــنا مـــع القناعة والرضا بقضاء الله تعالى ولابد من الإخلاص الكامل لله تعالى والصبر والشكر.

إن إنقاذ الإيمان إنما يكون بالبعد عن اليأس والقنوط، ويكون بإحياء الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية والثقافية ويكون بالتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وبتحقـــيق الأخوة الإسلامية حتى يكون المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، ويكون الـــبعد عن التكبر والاستبداد والغش والخداع والكذب وغير ذلك من الصفات التي تهدم ولا تبني.

ويلاحظ أن الدأب والسعي في الدنيا إنما هو للتطلع إلى ما في الآخرة والعمل الصالح هنا لقبض الأجرة هناك، فلكل حسب استعداده واجتهاده سعادة وافرة إن لم يفقدها.

والدنـــيا مـــا هي إلا دار ضيافة تملأ وتفرغ ونزل حل وترحال، وقد أنشئت بحكمة لقافلة الموجودات والمخلوقات، وساكنوا هذا الفندق هم ضيوف مسافرون وربهم الكريم يدعوهم إلى دار السلام.

وهـــذه التربـــية الغالـــية الثمن والقصيرة العمر إنما هي للعبرة والشكر وللحض على الوصـــول إلى تبادل أصولها الدائمة ولغايات أخرى سامية، وهذه الزينة في الدنيا إنما هي

بمثابة صور ونماذج للنعم المؤخرة لدى الرحمة الإلهية في الجنة للمؤمنين.

والإنسان لم يترك حبله على غاربه، بل إن أعماله كلها تسجل ليحاسب عليها والرحمن الرحيم سوف يكرم في ذلك العالم الفسيح عباده المخلصين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

والتاريخ يشهد على أن السر في قوة المسلمين ورقيهم وتقدمهم يكمن في تمسكهم بدينهم، ولو أننا أنقذنا الإيمان وأظهرنا كمالات أخلاقه وحقائقه الإيمانية في سلوكنا، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام .

وعزة الإسلام تكون بإعلاء كلمة الله تعالى، وذلك يستلزم التقدم المادي والتقدم العقلي والتقدم النفسي.

والصدق أساس من أسس الإسلام بل إنه واسطة العقد في سجاياه الدقيقة وعلينا أن نحيي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية وبه نداوى أمراضنا الروحية.

وقد أثبتت الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ما في روح العداوة من ظلم وتحريف وفساد، وأن غرور الإنسان وأنانيته قد يقودانه إلى اتخاذ مواقف المعاداة تجاه إخوانه المؤمنين بدون شعور فيظن الإنسان نفسه محقاً.

والغربيون ينظرون إلى الإسلام على أنه يعوق الفكر عن الإبداع والاكتشاف، كما ينظرون إلى الأديان الأخرى، ولكن بعضهم اكتشف- بعد دراسته للإسلام - أن الإسلام يختلف عن ذلك لأن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن الكريم فلم يكن فيه تحريف، ومن هؤلاء (بسمارك) الذي يعتبر من أشهر رجال الفكر في أوربا والذي قال: (لقد درست الكتب السماوية بدقة وشمول، ونظراً لتوثيقها فإني لم أجد فيها الحكمة الحقيقية التي تكفل سعادة البشرية، بيد أني وجدت قرآن محمد يعلو سائر الكتب) .

وعلى المسلمين في العصر الحاضر أن يعرفوا أن الإسلام يحتفظ بالقوى التي لا يمكن أن تغلب أو تقهر، فالإسلام يجعلهم كنفس واحدة مجهزة بالعلوم والفكر والحرية الشرعية المعلمة للبشرية طريق التسابق نحو المعالي الممزقة للاستبدادات والمظالم، وعزة الإسلام تكون بإعلاء كلمة الله، وذلك لا يتحقق إلا بالتقدم المادي والروحي معاً.

خاتمـــة

المدافعـــة بـــين الحـــق والباطل سنة إلهية، ولكن أهل الباطل دائما يستهويهم القهر والتعذيـــب، ثم يـــزعمون أن الآخرين هم المتطرفون الذين يستحقون السجن والتعذيب والقتل .

ويوســـف عليه السلام لقي ما لقي في السجن مع أن الجميع يعلمون أنه مظلوم، وأن الذيـــن حكموا عليه بالسجن هم الظالمون، والسبب أنه لم يستجب لنداء غريزة النساء، وقالـــت امـــرأة العزيز في صراحة وجرأة ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف:٣٢) .

ولكـــن يوسف عليه السلام لم يهن و لم يضعف وقال في صراحة ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف:٣٣) .

وفي داخل السجن أخذ يدعو من معه في السجن إلى الله على بصيرة، وقال لهم :

﴿ يَاصَـــاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِه إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: ٣٩،٤٠).

وهكـــذا نرى أن يوسف عليه السلام أسس جامعة معنوية ربى في داخلها جماعة من الشباب الذين يمكن أن يقوموا بالدعوة إلى الله ، وعلى هذا المنوال نجد أن بعض العلماء في جميع بلاد العالم الإسلامي حملوا لواء الدعوة إلى الله في داخل السجون، ومن هؤلاء الشيخ ســـعيد النورسي، القمر الذي أضاء سماء تركيا في فترة من أخطر الفترات التي مرت بها، فقـــد عـــايش كمال أتاتورك الذي كان يمارس البطش والإرهاب لمن يتمسك بالإسلام أو يدعو إليه، وقد اقم الشيخ سعيد النورسي باقامات كثيرة منها :

١- أنه يدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية.

٢- تأليف جمعية سرية.

٣- العمل على هدم الثورة الكمالية.

٤- تشكيل طريقة صوفية.

٥- إثارة روح التدين بنشر رسالة "**الحجاب للنساء**" .

وقــد وضع في سجن انفرادي فترات، ومع مجموعة من الشباب فترات أخرى، وفي داخــل السجن مكث يدعوا إلى الله على بصيرة، وعلى يديه تاب عدد كبير من المجرمين، وبــدؤوا يسيرون في الطريق، وفي داخل السجن ربى عددا كبيرا من الشباب على مبادئ الإسلام، وفي داخل السجن استمر في تأليف رسائل النور.

ومــن المحاكمــات الــتي قدم لها "محكمة أفيون" بسبب تأليف رسائل النور، ولكن المحكمــة حكمت ببراءته، ولذلك فقد بدأت الرسائل تأخذ طريقها في النشر وكان فرحا بذلك فرحا شديدا، وكان يقول (هذا عيد رسائل النور- لقد كنت أنتظر هذا اليوم لقد أنهيت مهمتي إذن سوف أرحل قريبا) .

وفي أيامه الأخيرة استدعى طلابه حيث ودعهم واحدا واحدا قائلا لهم وعيناه تفيض بالدموع : (أستودعكم الله إني راحل).

وقــد اســتطاع الشيخ بديع الزمان بجامعته المعنوية أن يربي مجموعة من الشباب في داخل السجون، وقد استطاعوا أن يقوموا بدورهم في المحافظة على الإسلام والدعوة إليه، ولازالــوا يقومــون به حتى الآن، وبذلك استطاعوا أن يبقوا على الإسلام في تركيا، وأن ينشــروه بين الأجيال المقبلة، وأن ينتصروا على ظلم الحكام شيئا فشيئا حتى وجدنا أشياء كثيرة يسمح لها بالوجود كالمساجد، ومكاتب تحفيظ القرآن، وتعلم اللغة العربية، والآذان باللغة العربية، والحجاب للمرأة، واللحية للرجال، كما وجدنا الصوت الإسلامي في تركيا يظهر في مشكلات المسلمين في البوسنة والهرسك، وفي أذربيجان وغير ذلك ...

وهكــذا يكون الشيخ بديع الزمان النورسي مدير جامعة يوسف المعنوية قد استطاع أن يــؤدي رسالته كاملة، وأن يقتدي بالنبي ﷺ في تربية جيل تربية إسلامية كاملة يتولى الدفــاع عن الحق حتى ينتصر على الباطل، وأن يتحمل من أعداء الإسلام الكثير في داخل السجن وفي خارجه، ولا يبتغي من وراء ذلك إلا إرضاء الله سبحانه وتعالى...

ولمثل هذا فليعمل العاملون...

فهرس

كتب صدرت للمؤلف

١- أضواء على التربية الإسلامية

٢- وظيفة المرأة في المجتمع الإسلامي

٣- جامعات يوسف

٤- الحدود في الإسلام

٥- دور المرأة ومكانتها في الحضارات المختلفة عبر التاريخ

٦- ماذا تعرف عن بديع الزمان النورسي

كتب تحت الطبع

١- الحضارة الغربية إلى الهاوية

٢- علم الإنسان في القرآن الكريم

٣- مفاهيم إسلامية

٤- الفن بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى

٥- الترف ودوره في انهيار الأمم

٦- معارك رمضانية فاصلة في تاريخ الإسلام

٧- الإسلام يدلل المرأة

٨- الحكمة في التشريعات الإسلامية

٩- لماذا أسلمنا ؟

١٠- المدينة المنورة عند الهجرة

١١- أوسمة إلهية

١٢- مكة المكرمة عند الهجرة

١٣- أوسمة نبوية

١٤- الإتكيت (فن الذوق)


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET